



كتاب الاشارة

الى محاسن التجارة

ومعرفة جيد الاعراض ورديها
وغشوش المدلسين فيها

تأليف

الشيخ ابي الفضل جعفر بن علي الدمشقي
رحمه الله وعفا عنه
بمنه وكرمه آمين

« طبع بمطبعة المؤيد وعلى نفقتها سنة ١٣١٨ هجرية »



الحمد لله الغني الحميد . القوى الشديد . الذي له مافي السموات وما في الارض وهو الغني الحميد . وصلى الله على سيدنا محمد الذي اختصه الله بالتنزيل . وأيده بروح القدس جبريل . ونعته في كتب جده الخليل . وعلى آله وأصحابه أجمعين . الى يوم الدين .

هذا كتاب اختصرناه في محاسن التجارة ومعرفة قيمة جيد الاعراض ورديها . وغشوش المدلسين فيها . وجعلناه فصولا فاولها

فصل في بيان حقيقة المال

اعلم يا أخي وفقك الله ان المال في اللغة اسم للقليل والكثير من المقتنيات وانما يفرق بين ذلك في النعوت فيقال مال جزيل ومال قليل . وجمعه أموال . وهذا الجمع أيضاً يحتمل التكثير والتحقير وذلك بالنعوت فيقال أموال عظيمة خطيرة . أو أموال نزرة يسيرة . وهذه التسمية تنقسم الى أربعة أقسام

أحدها يسمى الصامت وهو العين والورق وسائر المصوغ منها

والثانى العرض ويشتمل على الامتعة والبضائع والجواهر والحديد والنحاس والرصاص والخشب وسائر الاشياء المصنوعة منها

والثالث يسمى العقار وهو صنفان . أحدهما المسقف وهو الادور والفنادق والحوانيت والحمامات والأرحية والمعاصر والفواخير والافران

والمدابغ والمراس . والآخر المزدرع ويشتمل على البساتين والكروم والمزاحي والغياض والآجام وما يحويه من العيون والحقوق في مياه الانهار

والرابع الحيوان والعرب تسميه المال الناطق مقابلة لتسميتهم المال من العين والورق المال الصامت . وهو ثلاثة أصناف . أحدها الرقيق وهو العبيد والاماء . والثانى الكراع وهو الخيل والحمير والابل المستعملة . والثالث الماشية وهي الغنم والبقر والمعز والجواميس والابل السائمة المهملة

فصل في مدح الغني بكثرة المال

الغنى ينبئ عن خلال شريفة ويخبر عن خصال كريمة جداً وذلك أن توهم غنى الرجل موروثا أخبر عن نعمة قديمة ونسبة كريمة . وان توهم مكتسبا أخبر عن همة عالية وعقل وافر ورأى كامل وذلك أن الضعيف في الرأي والتدبير يفرق المال المجتمع فتى يظن بصاحبه جمع المفترق واكتساب ماليس له أصل . وان توهم ذلك مجتمعا من جوائز الملوك ومعادن السلطان أنبأ عن جلالة قدر ونباهة ذكر وأصالة رأى . وان توهم باتفاق ومصادفة من غير قصد اليه أنبأ عن سعادة جد ويمن طائر . ولو لم يكن في الغنى الا أنه من صفات الله عز وجل لكفي فضلا وشرفا عظيما

والاموال جميعها نافعة لاهلها اذا دبرت كما يجب وبعضها أفضل من بعض وتختلف باختلاف أحوال الزمان وبحكم ماهي عليه من صفاتها المكروهة أو المحبوبة وأحوالها المحمودة أو المذمومة وسأذكر من ذلك طرفا . فأما المضار المتوجهة من المال فمن جهة المتغلبين . السلاطين الجائرين والحسد والحساد

فصل في موضع الحاجة الي المال الصامت

لما كان الانسان من بين سائر الحيوان كثير الحاجات فبعضها ضرورية وبعضها طبيعية وهي كونه محتاجا الى منزل مبني وثوب منسوج وغذاء مصنوع. وبعضها عرضية وضعية كحاجته عند اللقاء الي مايقيه من عدوه والى ما يقاتل به وحاجته عند المرض الي أدوية مركبة من عقاقير وأشربة وكل واحد من هذه الحاجات يحتاج الى أنواع من الصناعات حتى تكون ثم حتى تتم كما يفعل في النبات وحاجته ان يزرع أو يغرس ثم ينقى ثم يسقى ويربي ثم يحصد أو يلقط ثم يحتاج الى صناعة أخرى تكون تمام الانتفاع به كحاجة القمح بعد حصاده الي الدراس والذرو والغربلة والتنقية والطحن والنخل والعجن والخبز حتي يصلح ان يتغذى به . وحاجة الكتان بعد البز والتعطين الى النفض والدق ثم المشط والغزل ثم الى الطبخ ثم سائر أعمال النساجة ثم الي الصقر والقصارة والخياطة حتى يصلح ان يكتسي به

ولم يمكن الواحد من الناس لقصر عمره ان يتكلف جميع الصناعات كلها وان كان فيه احتمال لتعلم كثير منها فليس يقدر على جمعها كلها ألبتة حتي يحيط بها من أولها الي آخرها علما ولان الصناعات مضمومة بعضها الى بعض كالبناء يحتاج الي النجار والنجار يحتاج الي الحداد وصناع الحديد يحتاجون الي صناعة أصحاب المعادن وتلك الصناعات تحتاج الي البناء فاحتاج الناس لهذه العلة الي اتخاذ المدن والاجتماع فيها ليعين بعضهم بعضاً لما لزمتهم الحاجة الي بعضهم بعضاً

وأما باقى الحيوانات فليس بهم حاجة الي بعضهم بعد قوة الشر اذ كانت مكتسية من ذاتها بملابس طبيعية إما شعر أو صوف أو وبر أو ريش أو قشور

أو اصداف وأقواتها معرضة لها من حيوانات أو نبات ومساكنها كذلك وكل واحد منها ليس به حاجة الى غيره

وأما الحيوانات التي تحت أيدى الناس فلكونها محصورة فتحتاج الى ما يغذوها ويكسوها ويكرمها والا هلكت

فلما كان الناس يحتاج بعضهم الي بعض على ما تقدم ذكره ولم يكن وقت حاجة كل واحد منهم وقت حاجة الآخر حتى اذا كان واحد منهم مثلا نجارا فاحتاج الي حداد فلا يجد. ولا مقادير ما يحتاجون اليه متساوية ولم يمكن ان يعلم ما قيمة كل شيء من كل جنس وما مقدار العرض عن كل جزء من بقية الاجزاء من سائر الاشياء وما مقدار أخري كل صناعة من أخرى الصناعة الاخرى فلذلك احتيج الي شيء يثمن به جميع الاشياء ويعرف به قيمة بعضها من بعض فمتى احتاج الانسان الي شيء مما يباع أو يستعمل دفع قيمة ذلك الشيء من ذلك الجوهر الذي جعل ثمنا لسائر الاشياء. ولو لم يفعل ذلك لكان الذى عنده نوع من الانواع التي يحتاج اليها صاحبه كالزيت والقمح وما أشبههما وعند صاحبه أنواع أخر لا يتفق ان يحتاج هذا الي ما عند ذاك ويحتاج ذاك الى ما عند هذا فى وقت واحد فتقع الممانعة بينهما وان وقع الاتفاق بينهما فى حاجة كل واحد منهما الي ما عند صاحبه لم يقع بينهما اتفاق فى أن يكون يحتاج هذا مما بيد ذاك الي ما يكون قيمته مقدار ما يحتاج اليه ذلك مما فى يد هذا لا يزيد ولا ينقص فانه قد تكون حاجة صاحب القمح مثلا الي رطل زيت وحاجة صاحب الزيت الى حملي قمح وقد تكون حاجة صاحب القمح الي زيت كثير وحاجة صاحب الزيت الي قمح قليل فيقع الاختلاف بينهما اذ ذاك فنظرت الاوائل فى شيء يثمن به جميع الاشياء فوجدوا جميع ما فى

أيدي الناس اما نبات أو حيوان أو معادن فأسقطوا النبات والحيوان عن هذه الرتبة لان كل واحد منهما مستحيل يسرع اليه الفساد . وأما المعادن فاختاروا منها الأحجار الذائبة الجامدة ثم أسقطوا منها الحديد والنحاس والرصاص . فأما الحديد فلا سراع الصدأ اليه وكذلك النحاس أيضا . وأما الرصاص فلتسويده وافراط لينه فتتغير أشكال صورته وكذلك أسقط بعض الناس النحاس لما يركبه من الزنجار وطبعه بعض الناس كالدرهم فانهم عملوا منه فلوسا يتعاملون بها

ووقع إجماع الناس كافة على تفضيل الذهب والفضة لسرعة المواتاة في السبك والطرق والجمع والتفرقة والتشكيل بأى شكل أريد مع حسن الرونق وعدم الروائح والطعوم الرديئة وبقائهما على الدفن وقبولهما العلامات التي تصونهما وثبات السمات التى تحفظهما من الغش والتدليس فطبعوهما وثمنوا بهما الأشياء كلها ورأوا أن الذهب أجل قدرا فى حسن الرونق وتلازز الاجزاء والبقاء على طول الدفن وتكرار السبك فى النار فجعلوا كل جزء منه بعدة من أجزاء الفضة وجعلوهما ثمنا لسائر الاشياء فاصطلحوا على ذلك ليشترى الانسان حاجته في وقت ارادته وليكون من حصل له هذان الجوهران كأن الانواع التى يحتاج اليها حاصلة فى يده مجموعة لديه متى شاء فلذلك لزمت الحاجة فى المعاش الى المال الصامت

وقال بعض الآدباء . العين للعين قرة . وللظهر قوة . ومن ملك الصفراء ابيض وجهه واخضر عيشه

فصل فيما يمتحن به المال الصامت فيعلم جيده من رديئه

لما ذكرت مواقع الحاجة الي المال الصامت مع علم كافة الناس بالانتفاع

به ومحبتهم لاقتنائه واكتسابه وجب أن اذكر مايمتحن به فتعلم جودته فتؤمن مغبة غشوش المدلسين فيه

فأما الذهب فمن ذلك الحى فى النار فمتى كان فيه جسم آخر من النحاس أو الفضة أسود أو اخضر وتغيرت سحنته . وقد يمكن بعض حذاق المدلسين فى تدبيرات الذهب الغش بما يحسنه في الحى

ومنه الوزن بتأمل التثقيل والطنين ولا ينتفع بها تين العلامتين الامن تدرب من الصيارف والمدركين والصاغة فان للذهب من الثقل وتلزز الاجزاء صفة لايدانيه فيها مايغش به . وكذلك صوته اذا نقر فانه رخيم معتدل فاذا غش بالنحاس أو الفضة ظهر فى صوته دقة وحدة تدل على صلابة وصلت في جسمه . واذا لبس الذهب على الفضة انحرف اذا نقر ولم يكن له صوت وكذلك اذا كان موترا ويأتي ذكر التوتير بعد هذا الفصل

ومنه الحك وقد يحيل المدلسون في أشياء تفسد امتحان الحك بأدوية قوية التحمير توضع على الذهب وتحمى وتطفى في مياه مدبرة فيظهر في الحك أنه جيد وهو ردىء الى غيرذلك من القوى الطلي والتخييش بالاوراق ويفسد امتحان الحك أيضا اذا وتر الذهب وهو أن يطلق العلق الصامت أو السبيكة وهي غليظة فيعمل الدواء في ظاهر العلق فيجود ولا تصل قوة الدواء الى باطنه فيبقى رديا على حاله الا انه ينقص صوته في الطنين فيستدل عليه بذلك

ومنه القطع بالكاز وهو قد يكذب اذا كان الدينار مخيشا باوراق قوية فانه ينزل منها مع حد شفرة الكاز من الجانبين ويطبق على القطع فيظهر انه ذهب والكسر أصدق منه

فاما العلامة التى لا يدخلها ريب ولا يجوز عليها التدليس والازغال والبرهان الذى لا تنجع فيه حيلة المحتال . فهو التعليق وهو أن يدق الذهب ويبي سافات من الاجزاء المدقوقة والملح فى اناء فخار وتوقد عليه النار عشرين ساعة فما ثبت على ذلك وظهر حسن رونقه ولونه عند خروجه من النار ولم ينقص كثير نقص زالت الشكوك فيه

فاما الفضة فان المحك الاعظم فيها سبك الروباس وهو الريح المعكوس فما ثبت عليه زالت الشكوك فيه فان كثيراً من المتعرضين لصنعة الكيمياء يطهرون النحاس ويبيضونه الى حد ان يصاغ منه سائر الاعلاق ويمد خيوطاً ويستعمل فى سائر الصناعات كلها ويطلى بالذهب ويجري عليه السواد ويثبت لونه فى الحمى والمحك وبعد البرد فاذا دخل تحت الروباس تلف

والعلامة التى هي دون هـذا فى الاحتياط الحمي فى النار فان كان رديئاً اسودّ . وقد يكون العلق من الفضة حسن الصنعة مموها بالذهب يجرى عليه السواد فان أحمى تلفت الصنعة فلا تسخو النفس بذلك

والحيلة فيه ان يبرد من بعض حروفه شيء يسير فتؤخذ تلك البرادة وتوضع على صحفة حديد وتحمي فى النار ثم يتأمل لونها فان ذلك ينوب عن حمي جملته

والعلامة التى هى دون هـذا هى ان يبرد العلق ثم ينظر الموضع الذي كشف المبرد بعد ساعة ان كان تغير ويحك بالمحك فى الموضع المكشوف بالمبرد ويقرن اليه العيار وقد تكذب العيارات اذا كان الحمل أصفر وبيان الحمل من النحاس الاصفر في الحمى اكثر من بيانه فى المحك لانه في الحمى يعطيك اللون الأسود

فصل في الاعراض

انواع الاعراض تحتاج الى ثلاثة أشياء من الصيانة والاحتياط والتفقد فالاول التحفظ فى وقت شرائها وتحصيلها وذلك بامرين .أحدها العلم بقيمتها المتوسطة وبجيدها ورديئها وغشوش المدلسين فيها

والثاني معونة الخبيرين بها اذا كانوا ثقات واستماع نصحهم فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم « استعينوا على كل صنعة بصالح أهلها »

والثالث صيانتها من أن يسرع اليها الفساد والتغيير وذلك بشيئين أحدهما العلم بالشيء المفسد لكل نوع منها ماهو وكم هو . والآخر المعرفة بما يمنع من ذلك الفساد وبمايزاد فى ذلك التوقى وينقص بحسب اختلاف الاوقات والاحوال من صيف وشتاء وسفروحضر

مثال ذلك فيما يزاد وينقص أن أحد الاشياءالمتلفة للمتاع الغباروالبلل من الماء والندى وغير ذلك من الادهان ويمنع من ذلك في حال الحضران يجعل في أسفاط مغشاة برقوق وتوضع على أسرة أو ألواح عالية عن الارض ويطرح عليهاغشى صفيقةويتفقد سقف البيت ان كان مكشوفاللامطارأو مسكونا في مواضع استعمال الماء تحرزا من الوكف وفى حال السفر في البحرأو فى البرد اذا كان في فصل الشتاء

فان كان المتاع جليل القدر واحتيج الى زيادة في الاحتياط فيغشي ويحزم ويطرح عليه من فوق الاغشية والحزم القطن المندوف ومن فوقه اللبود القوية الدلك ويحزم حزما ثانيا ويغشي من فوق ذلك بالخرق المشمعة ويخيط عليه ويطري بالشمع على مواضع أو صالها ويلبس بالانطاع

ويشد عليها

فان أريد المبالغة في الاحتياط التام غشيت بعد ذلك بالخيوش الكتانية وزفتت تزفيت المراكب وقد فعل ذلك جماعة من التجار الاعيان مرارا كثيرة

والنوع الثالث حفظها باذن الله عز وجل من الخونة والسراق والقطاع وذلك بثلاثة أشياء . أما من جهة الخونة فبالخواتيم والرشوم والحساب والاعتبار بالكيل والوزن والعدد والتجسس عليهم باستطلاع غوامض أخبارهم . وأما من جهة السراق فبالخزن في المواضع المامونة التي لا يتطرق اليها ذوفطنة والابواب الوثيقة والاغلاق الجيدة والحيطان الرفيعة . وأما من جهة القطاع فالحمل ان كان السفر في البحر في السفن المطبقة العظيمة الكثيرة العدد والسلاح والنواتية والبحارة والركاب . وان كان في البر فبالصحبة المأمونة العزيزة أو الخفراء الثقات المعروفين ابدا بالوجاهة والخير والحسب والامانة

فصل في المعرفة بالقيمة المتوسطة لسائر الاعراض

اما بتثمين ماثمن من الاعراض ومبلغ قيمته المتوسطة فهو بالاضافة الى المكان الذي يلتمس معرفة ذلك فيه وذلك لان قيمة الاسفاط الهندية بالمغرب مخالفة لقيمتها باليمن والمتوسط والمعتدل من أسعارها في أحد المكانين غير المتوسط والمعتدل من أسعارها في المكان الآخر . وقيمة المرجان بالمشرق غير قيمته بالمغرب وذلك لاجل القرب من المعادن

وكذلك الامكنة المشهورة كل مكان منها يختص بفن من الفنون لا ينطبع في غيرها مثله وان قيمة ذلك الشيء المصنوع في معادنه مخالفة لقيمته في الاماكن

التى يستظرف فيها

والوجه في تعرف القيمة المتوسطة ان تسأل الثقات الخبيرين عن سعر ذلك فى بلدهم على ما جرت به العادة فى اكثر الاوقات المستمرة والزيادة المتعارفة فيه والنقص المتعارف والزيادة النادرة والنقص النادر وتقيس بعض ذلك ببعض مضافا الى نسبة الاحوال التي هم عليها من خوف أو أمن ومن توفر وكثرة أو اختلال وتستخرج بقريحتك لذلك الشيء قيمة متوسطة أو تستعلمها من ذوى المعرفة والامانة منهم فان لكل بضاعة ولكل شيء مما يمكن بيعه قيمة متوسطة معروفة عند أهل الخبرة به فما زاد عليها سمي باسماء مختلفة على قدر ارتفاعه فانه اذا كانت الزيادة يسيرة قيل قد تحرك سعره فان زاد شيأ قيل قد نفق فان زاد أيضاً قيل ارتقى . فان زاد قيل قد غلا . فان زاد قيل قد تناهى .

فان كان مما الحاجة اليه ضرورية كالاقوات سمى الغلاء العظيم والمبير وبازاء هذه الاسماء فى الزيادة أسماء النقصان فان كان النقصان يسيرا قيل قد هدأ السعر فان نقص اكثر قيل قد كسد . فان نقص قيل قد اتضع . فان نقص قيل قد رخص . فان نقص قيل قد بار فان نقص قيل قد سقط السعر وما شاكل هذا الاسم

والتجار المجربون يقولون اشتر غالي الرخيص ولا تشتر رخيص الغالي . مثال ذلك انه ان كان الشيء قد جرت العادة في اكثر الاوقات أن يكون ثمنه دينارين وكان الديناران هما قيمته المتوسطة ثم زاد سعره بسبب انقطاع طريق أو تاخرورود أو كثرة طالب أوقلته هو فى ذاته بسبب احدى الجوائح السماوية أو الارضية فبلغ أربعة دنانير ثم استمر على ذلك وقتا من الزمان

ثم صلح سعره فبلغ ثلاثة دنانير فهذا يسمونه رخيص الغالي ومشتريه من الخزان معيب عند التجار لان الاشياء ترجع الى حقائقها ومتوسطاتها وان تمادت على خلاف ذلك وقتاما

فان نقص سعره فبلغ دينارا واحدا إما لقلة طالب أو لأمن سبيل أو زيادة ريع واضداد ما تقدم ذكره ثم تمادي على ذلك مدة ما ثم تحرك سعره فبلغ دينارا واحدا ونصف دينار فان هذا يسمونه غالي الرخيص ومشتريه محمود عند التجار لان سعادة البضاعة تدل على عودتها الى حالها الاول قال الشاعر

زيادة شيء تلحق النفس بالمني * وبعض التغالي في التجارة أربح

واعلم ان البضائع صاحبها معرض لشغل القلب والخوف من اتضاعها سيما اذا كانت غالية أو مما يفسد بسرعة قال الله تعالي « وتجارة تخشون كسادها » وروي عن النبي صلي الله عليه وسلم انه قال « نزعت البركة من الشيء الغالي والشيء الرديء » فالشيء الغالي قد أخذ الفائدة فيه غيرك ونزعت منه البركة فهو الى الخسران أقرب منه الي الربح

فصل في جيد الاعراض ورديئها

أما معرفة جيد الاعراض ورديئها وغشوش المدلسين فيها فقد وضع في كل نوع منها كتب كثيرة كالجواهر فانه وضع الكندي وغيره من المتقدمين فيها مقالات عدة بينوا فيها مقادير اثمانها ومحمود صفاتها واماكن معادنها وكيفية استخراجها .

وكذلك العطر وأنواع العقاقير والاسقاط فقد وضع الاطباء والفلاسفة المتقدمون وكثير من العلماء المتأخرين فيها كتبا كثيرة بينوا فيها خواصها

ومنافعها وجيدها ورديئها واماكنها وجميع اسمائها باللغات اليونانية والفارسية والعربية وكذلك أكثر الانواع من البز والطرائف . ومتى قصدت أن أذكر ما في كل صنف طال الكتاب وبعد المرام لان العطر وحده قد أحصى بعض المتأخرين ماعرفه منه وما سمع به وما قرأه فكان قريبا من ثلاثة آلاف عقار ويحتاج كل واحد منها في نعوته وذكر منافعه ومضاره الى شرح طويل غير اني سأذكر من ذلك شيأ مما يكثر بيعه وشراؤه والمتاجرة فيه وكذلك فى غيره من الاعراض فمن ذلك القول فى الجوهر

الجواهر الثمنة ترغب فى اقتنائها الملوك والسلاطين لعظم الثمن وخفة المحمل والمباهاة بها وعدمها عند العامة وما كان كذلك فنظر مالكه اليه وتقليبه اياه يسره ويبهجه ويشرح صدره ويطيب نفسه فهو يزداد به فرحاً

ومنها الدر وهو اللؤلؤ الكبار وهو أشبه شيء بالكواكب الكبار . وأفضله القارّ وهو المستدير الشكل من سائر جهاته النقي اللون الحسن المائية وهى الوبيص والجوهرية وهى الاشراق . وكل ما كان من الجواهر بهذه الصفة يسمى الرطب . واذا كان وزن اللؤلؤة منها مثقالا وهى بهذه الصفة كانت قيمتها ثلاثمائة دينار

واذا كانت اللؤلؤتان كل منهما وزنها مثقال وهما شكل واحد لا يفرق بينهما في المنظر وهما بهذه الصفة كانت قيمتهما أكثر من سبعمائة دينار لاجتماعهما

واذا كان وزن الاثنين مثقالا وهما بهذه الصفة كانت قيمتهما مائة دينار واذا كان وزنهما ثلثي مثقال كانت قيمتهما خمسين دينارا . واذا كان وزنهما نصف مثقال كانت قيمتهما عشرين دينار واذا كان وزنهما ثلث مثقال كانت قيمتهما خمسة دنانير

والجوهر يحتمل الزيادة فى السوم سيما عند حضور الراغب الا أن العيب

فيه لا يفتفر ولا يسقط منه بعض الثمن لكن معظمه

وعيوب اللؤلؤ التصديف وتغيير الشكل عن الاستدارة والصفرة والابتراص وسعة الثقب واعوجاجه والترنير

والاشياء التي تضره الادهان جميعها والحموضات كلها لاسيما ماء الليمون ووهج النار والاحتكاك بالاشياء الخشنة

الياقوت

أفضل أجناسه الاحمر القاني اللون ويسمى البهرماني ثم يتلوه الاحمر المشرق اللون الناقص عن لون البهرماني قليلا ويسمى الرماني . وبعده الازرق النميق اللون وتشوب زرقته حمرة ويسمى الاسمانجوني . وبعده الاصفر وهو الفاقع اللون . وبعده الذهبي

واذا كان الفص من الياقوت حسن الشكل سالما من الثقوب والتشعير أحمر قاني اللون رطباً وزنه مثقال ساوى أربعمائة دينار . وان كان وزنه نصف مثقال ساوى خمسين دينارا . وان كان وزنه ثلث مثقال ساوى خمسة عشر دينارا . وان كان وزنه ربع مثقال ساوي ستة دنانير

وأما الرماني فاذا كان صبغ اللون ساوي الربع من قيمة البهرماني

وأما الاسمانجوني فانه اذا كان على الصفات المحمودة ساوى السدس من قيمة البهرماني

وأما باقي ألوان الياقوت فانها كثيرة الوجود وهي رخيصة وأثمانها معروفة عند أهل الخبرة بها في سائر البلاد . وانما ذكرت قيمة ماذكرت من الجواهر الفاخرة لاجل أنها تجرى مجرى الذهب لعزتها في معادنها

فأما عيوب الياقوت فأردأ ألوان الياقوت الاحمر المورد الذي يضرب الى البياض والسماق الذي يضرب الى السواد. وأردأ ألوان الياقوت الازرق الذى يضرب الى لون الرماد ويسمى السنوري . وكذلك الذي يسمى الزيتي. وأردأ ألوان الياقوت الاصفر مانقص لونه وضرب الى البياض وأردأ صفاته قبح الشكل والشعرات والطرائق والثقوب

وأما امتحان الياقوت فمن علاماته الثقل وقبل البرودة بسرعة وأن يجرح بكسر العقيق فلا يعمل فيه وهو يصبر على النار اكثر من صبر غيره من جميع الاحجار

الزمرذ

أعلم أن الزمرذ أجله الذبابي وانما سمي بهذه التسمية لشبه لونه بالخضرة التي تكون في الكبار من الذباب وأحسن ما يكون من الخضرة . وبعده الريحاني وأخسه قيمة الذى يضرب الى البياض مع كودة ويسمي العربي

وقيمته تختلف بحسب طلابه واغراضهم فى أشكاله فمنهم من يرغب فى الفصوص منه، ومنهم من لا يريد الا القصب وكذلك تختلف ارادتهم في أشكال الفصوص . والمدلسون يحيلون فى التشبيه به اكثر من الياقوت . وأفضل امتحانه الخفة والتشعير والطرائق وهو يصبر على النار مالا يصبر عليه مايغش به

الماس

حصى تختلف مقاديرها فى الصغر والكبر من وزن حبة الي مثقال ولا تكاد تختلف أشكالها كثير اختلاف لان جميعها مقرن ذو زوايا خمس أو ثلاث.

ولونه أبيض يشبه البلور ولكن يشوبه حمرة يسيرة وفيه مايشوبه كمودة يشبه لون الزجاج . ومائيته تشبه الياقوت وهو أخف من الياقوت وأثقل من الزجاج والبلور

ومن خواصه انه ينكى فى الاحجار والجواهر الملائمة ولا ينكى فيه ويضرب على السندان بالمطرقة فيغوص فيها . واذا تحيل فى كسره سمر فى صفيحة من رصاص ويجعل بين فى قدومين وينقر برفق . ولا يعتمد بالكسر الا ما كان منه صغيراً لا يبتئل من قيمته

والملوك ترغب فى اقتناء الاحجار الكبار منه لعدمها عند العامة وقلتها وتخذها فصوصا تختم بها. وتراد أيضا لمن يقتلون بها أنفسهم متي حصلوا فى قبضة عدو وأيقنوا أنه يعذبهم ويهينهم قبل القتل فان الملك اذا اتفق له ذلك ابتلع الفص فمات. وقيمة الفص منه كقيمة الياقوت البهرماني الفاخر على ما تقدم من ذكر أوزانه

الفيروزج

لا يكاد كثير من الملوك يرغب فى لبسه لاجل ان العامة تكثر من التختم به ولبس الفصوص المشبهة بالجيد منه

وأفضله ما صلب وحسنت مائيته وغمقت زرقته وما كان على غير هذه الصفة يسمي الابواسنحاق

وما كان على غير هذه الصفة فهو حجر رخو يقبل الادهان فيستحيل لونه الي الخضرة والكمودة فيفسد

المرجان

أفضله ما عظم منه وغلظ ويسمى الشاخ وما اشتدت حمرته وسبط وقطعت العقد الكبار من أسافله وهو يسمى السبد وسلم من السوس. وأدونه مادق منه ويسمى ساق الجراد .وأرداه مادق منه وسوس والواقع والناقص اللون

والبيعة منه في معادنه عشرة ارطال ونصف بالمصرى وهي التي تقع عليها المساومة . والبيعة منه في ديار مصر والشام والعراق اذا كان محلى على الف وعشرين درهما . والغشيم الف ومائة

وتختلف قيمته في الكساد والنفاق والقلة والكثرة اختلافا متفاوتا وقيمته المتوسطة بديار مصر والشام أما الشاخ الجيد فعشرون ديناراً البيعة. وأما المتوسطة فاثنا عشر ديناراً . وأما الدون فمن ثلاثة دنانير الى ستة دنانير

وأما الاشياء المفسدة له فان النار تحرقه والحموضات تبيضه وكذلك ان جعل في وماء كان فيه خمر أوأثر خل فانه يتلفه

العقيق

اعلم ياأخي ان العقيق من أحسن الجواهر المليحة لولا كثرته وهانه عند الملوك لاقتدار العامة عليه فهم لا يتخذون الا ما كان حجراً كبيراً قد عملت منه آلة مليحة مثل مدهن أو قدح أو ماجرى هذا المجري فيقتني على حكم الاستطراف والوجود فان العامة لا تتمكن من ذلك

وأفضل العقيق الاحمر القانى اللون الحسن المائية والاشراق ويسمي

الرطب . وبعده الاصفر الذهبي اللون . وأدونه ما مال لونه الى البياض أو أو الى السواد وما كد فنقص اشراقه

وأما ما يجب أن يوقي منه فان اصطكاكه بالاجسام الصلبة يكسره وان النار تفسده

اللازورد

يجري عند الملوك مجرى العقيق فلا يتخذ منه الا ما كان حسنا جوهره واتخذت منه آلة مليحة لا تتمكن العامة من اتخاذها

فاما المطحون منه فيستدل على جودته بحسن زهرته وهو بضاعة لا تنفق في كل حين لانها لا يحتاج اليها الا في التزويق فقط

الجزع

تعمل منه الصناع اعلاقا كباراً صحاحا فكثير أن تبلغ اثمانا كثيرة لاجل الصنعة لانه حجر مانع . ومنه الجزع الباقراني يعمل منه فصوص برسم الملوك والاعيان ولها أثمان كثيرة

وهى طبقات يتلو بعضها بعضاً على استواء ناصعة البياض والسواد والحمرة ويخلص الصناع منها كتابة يخالف لونها أرضها وربما اتفقت فيها ثلاثة ألوان إما في كتابة أو صورة ويتمكنون من استخراج الثلاثة الالوان في الصورة لانه يقع لها تجسيم ينفذ في الثلاث طبقات ولا يكادون يتمكنون من الكتابة الا ان يكون وجه الفص غير مسطح

فصل فيه القول في الطيب واوله المسك

المسك اكثر الاشياء غشا وتدليسا فان كان فى قوارير فيجب ان يتفقد ختمه وعلامة الرجل المشهور باداء الامانة فيه ثم يفتح بعد ذلك فيعتبر بالمشاهدة بان يكون لونه الى الشقرة مائلا ورائحته بالقوة الشديدة مع اللذاذة وذوقه بالمرارة التى هى غير مفرطة مع طعم المسك والنفانج بالافتقاد ثم الفتق فكثيرا ما يجعل فيها قطع الرصاص والحديد أو ينزع المسك ويخلط معه الشادروان وهو صمغ الجوز ويحشى به

والبيمة منه عشرة مثاقيل ونصف وعليها تقع المساومة . ومن الاشياء المفسدة له الماء والهواء فيحتاط عليه بان تنط (١) أوعيته ثم تلبس بالخرق المشمعة

العنبر

أجوده ماجلب من شحر عمان وخير أو صافه الخفة والبياض والدهنية أو أن يميل لونه الى الخضرة والصفرة ميلا يسيرا ثم المغربى ماكان منه في الاوصاف المحمودة التى تقدم ذكرها وأحسنه للتداول ونه يضرب الى السواد. والمرمل والناشف وما ثقل وزنه . ويجب أن يكون الاحتفاظ عليه من النار أكثر من غيرها

الكافور

أجوده ماحلاذوقه وخف وعذب ريحه فلم تظهر فيه نقطية وهو الآن يسمي الجديد والاحتياط عليه أن يجعل فى اناء زجاج أو صينى داخله أملس ويخلط معه الشيشم ويغطي باوراق قصدير ويحكم سده وينطط الاناء من

(١) قوله تنط أي تشد اه .

الزجاج ويستر ويوقى من الحر ووهيج النار ومباشرة الاجسام الحارة

العود

أفضله المندي وأجل صفاته الرزانة واللون المائل الى السواد ورائحته على النار فيها شبه من رائحة الينوفر وآخر رائحته كأولها ثم يتلوه الصيفي وصفاته المحمودة مشاكلة لما تقدم ذكره الا ان شعرته تخالف شعرته ورائحته على النار تشبه رائحة الورد وآخرها كاولها وهو عبق في الثياب

وأما العود الرطب فانه يطلب للادوية اكثر من البخور وعلامته اللين والطعم الحريف الذي يلذع اللسان فينفطه واذا جف سمي وامسك الرطب ونقص سعره فصار أدنى قيمة من الصيفي وأحسن أجناس العود الاشباه وعلامته أن آخر رائحته على النار دخانية

القرنفل

أجوده الكباش السالم من العفونة والنداوة المغربل من الدق القوى الرائحة والجوز أيضاً مثل ذلك

السنبل والاذخر

الجيد منهما العصافير وتسمى عصافير الاذخر المغربل من الدق والتراب السالم من العفونة

الصندل

صنفان أبيض وأحمر والاحمر منهما يدخل فى الادوية والابيض يدخل فى الادوية والطيب وأجوده المقاصيري ويتبين برائحته ولونه وأرداه الجوري

الزعفران

أجوده الحديث العهد الحسن اللون السالم من البياض والاستحالة والرمل والدق والنداوة المفرطة

وأجناس السقط الصغير كثيرة واكثرها يدخل فى الادوية كالراوند وما يجري مجراه فألغيت ذكرها لما تقدم من الاعتذار . واذ قد ذكرت الراوند وجب أن أذكر صفاته واجودها الطراوة واذا نشر كان لونه حسن الصفرة وأرداه النخر المسوس ذو اللون الاسود

القول في السقط الكبير

(النيل) أحمد صفاته الخفة مع عمق اللون وحسن الزهرة المشوبة بحمرة التي تشبه السوس الاسمانجوني أو أعناق الحمام الدواجن ومتى كسرت الكبة وكان داخلها غض شديد البياض فهذه علامة محمودة فيه ويجب ان يختبر وقت شرائه من الحلف ومن النداوة فان النداوة تضر فيه من وجهين أحدهما أنها تحسن لونه فتزيد فى ثمنه ثم يذهب ذلك بعد جفافه . وأما الثاني فانها تزيد فى وزنه ثم اذا جف نقص كثيراً . والردئ منه يستحيل بسرعة واذا كسر كانت رائحةُ الردئ منه كرائحة الطين . فاذا اراد الانسان ان يمتحن النيل فيعلم كم مبلغ ما فيه من الغش فانه يزن قطعة صغيرة ويضعها على النار فان النيل يحترق ويتصاعد والغش الذى فيه من طين أو رمل يبقى على الجمرة فيؤخذ ويوزن وتعلم نسبته

البقم

أجوده الغليظ الطري الحسن اللون وهو إما احمر قان بهرمانى وإما ذو

صفرة فاقعة ذهبية . ويستدل على طراوته بحسن زهرة اللون وحلاوة الطعم وكلما كان تلبسه أقل وهو القشر الابيض البراني وسبط وكان أقل عقداً وتشقيقا فهو أفضل وهو يحول اذا تمادي عليه الزمان وينقص لونه وفعله

الفلفل

أجوده النظيف من الدق والتراب والحصى السالم من الاحتراق والعفونة التي طال عليها الزمان . وعلامة الاحتراق والعفن ان يحتك التشنيج الذى على الحبة ويتقرع

وأما الفلفل الابيض فانه جنس يخالف هذا الجنس فى شكله ولونه وهو يدخل فى الادوية ولا يدخل فى الاغذية وهو مما يحسب من السقط الصغير وافضله ماثبل حبه وقلت قشوره

اللبان

وهو صمغ شجر فى شحر عمان وأجوده الملق الذي لقط من شجره من قبل أن يسقط الى الارض فيلتصق فى جسمه من ترابها وكان لونه ابيض مائلا الى الخضرة وكان مغربلا من الدق منق من الحصى وسائر الاشياء التي يغش بها ولم يكن فيه تشنيج وهو الملتصق بعضه ببعض ولم يتغير لونه الى السواد . والمدلسون يتحيلون فى تدليسه وتمكنهم فيه اكثر من غيره

المصطكي

صفاته المحمودة كصفات اللبان سواء من غير نقص

دار صيني الطعام

وهو القرفا أجوده ما كان قطعا كبارا وطعمه ورائحتـه ذكية وهو من شر البضائع لانه يستحيل بسرعة فيمر طعمه ورائحته وكذلك التمرهندي

واما الدار صيني الملفوف فانه يدخل فى الادوية اكثر من الاغذية وأما دار صيني الطيب وهو يسمى قرفة القرنفل فهو محسوب من السقط الصغير

الال

أجوده ما كان قليل العيدان سالما من الاحتراق والتشنيج ويعتبر بالمضغ ويتفل على موضع ليتأمل قوة الصبغ ويتأمل ما كان فيه من دق لئلا يكون قد خالطه رمل وتتبين جودته وهو فى العدل من ثقل وزنه

الزنجبيل

أجوده ما كان طريا رزينا سالما من السوس والعفونة وهو يستحيل ويسوس بسرعة وحفظه بان يخلط مع الزنجبيل الفلفل

الزرنباد

أجوده الحديث النقى السالم من العفونة والدق والسوس

الخولنجان

أجوده الخلنجي اللون السالم من العفونة والسواد والبلل

القسط

صنفان حلو ومر والجيد من كل منهما الحديث المهد السالم من العفونة والسواد والدق

اللاذن

أجوده الشمعي النقي الصافي وهو يبقى مدة طويلة كبيرة فلا يفسد ألبتة

الاهليلجات

الاهليلج أنواع . فاما الكابلي فافضله ما كبر منه وكان حديث عهد فانك اذا كسرته وجدته مصمغا وأجله الخلنجي اللون وأما القديم العهد فانك اذا كسرته وجدته يفترك بسرعة وأما الاسود فالنظيف منه . وأما الاصفر فالصافي اللون الحديث العهد . وأما الاملج والسيرملج والبليلج فانها مما تقل المتاجرة فيها

الكاغد

أجوده ماصفا لونه ونعم لمسه وثقل وزنه وجادت صقالته وقلت اسفاطه وآفته الارضة ويحفظ منها بالفودنج الهندى النهرى اليابس يجعل في أبياته وكذلك ثمر الحناء اذا كان يابسا ويحفظ أيضا من النداوة

الكتان

تعرف جودته فى العدل عند وزنه فان كان رزينا دل على قلة المشاق والساس فيه وعند المشاهدة فان المورق منه النقي الذى لو شئت أن تمده لامكنك وأما لمسه فكل ما كان ألين وأوطأ وأرطب فهو افضل . وعيوبه التى يعرف بها الردئ منه الخشونة والتقميل وانفتاق الشعر وكثرة الساس والمشاق

القطن

تعرف جودته فى العدل عند وزنه فكلما كان أخف دل على قلة الحب فيه وعند المشاهدة بشدة البياض والنقاء من القشرة والتفريد وعند اللمس بالوطاءة واللين

الصوف وشعر المعز

تعرف جودتهما بالنقاء واللين

الابريسم

أجوده النقي الحسن اللون السالم من الاختلاف والاوساخ الملبسة لبعض خيوطه وان تكون خيوطه شكلا واحدا ليس فيها ما بعضه غليظ وبعضه رقيق ولا معقدة وتعرف جودته من ثقل وزنه وكلما رأيت اللحمة اذا وزنتها ثقيلة كان أفضل

القول في الديباج

وهو أجناس فمنه ما يحتاج اليه للباس ومنه ما يحتاج اليه للتعليق والفرش وأفضله ما حسن صبغه وانتظمت نقوشه ودق حريره وصفق نسجه وأشرق لونه وثقل وزنه وسلم من النار في جندرته وأدونه ما كان بخلاف هذه الصفات وجيد ما يصلح للتفصيل أن يكون مائة وعشرين شبرا وما كان للفرش والتعليق أن يكون الثوب مائتي شبر وقد يكون أكثر من هذا أو أقل فاذا نقص ما هو برسم الكسوة عن هذا فانه من أكبر العيوب اذ لا يفصل وعوده متعذر وان وجد ثوب يشاكله لم تسمح النفس أن تقطع بسببه خرقة

السقلاطون والعتابي والمصمت

أفضل هذه جميعا ما عمل بالحف ولم يعمل بالمشط وكان في جودة الحرير

والاوضاع على ماتقدم ذكره من صفات الديباج

الخز

يستدل على جودته بهدبه فيعرف قوة سداه وبلمسه على صفاقة نسجه . فاما لونه فالمشاهدة تنبئ عن قوة سداه ولمسه

وحد مقداره أن يكون خمسة عشر ذراعا في عرض أربعة اشبار فما نقص فهو لطيف . وأفضله ماصفق نسجه وثقل وزنه وأشبه الاسطو فى جسمه وأرداه الضعيف الذى الخفيف الوزن الرخو النسج الكمد اللون الردئ الحرير

الدبيقي والشرب

اغراض الناس تختلف فى الطرز والرقوم وهم مجمعون على تفضيل ما كان منها أدق سلكا وأصفق نسجا وأنقى بياضا واحسن صنعة واحر ذهبيا . ومن الدبيقي ما يكون وهو خام حسنا فاذا قصر لم يجب

وهذا الصنف تغلط التجار فيه فيجب أن يرجع فى ذلك الى معرفة البلد التى عمل فيها فانها معلومة عند أهل الخبرة وهذه الصفات تنوب عن عن ذكر ثياب الكتان الخام منها والمقصور فان النعوت المحمودة في الجميع واحدة

الاوداري

طول كل ثوب منه اذا كاملا خمسون ذراعا فى عرض شبرين ونصف وهي تفصل ثوبين كاملين وربما فضل منهما فضلة أجودها مادق منه وصفق نسجه

التصافي والابراد

أجودها ماسلم من الاسقاط ولم يدشتك . والدشتكة أن يلبس الثوب خاما بان تقرن حاشيتاه ويخاط فيصير كالرداء أو يستخدم ثم يفتق ويقصر ويقصدون بذلك بعد الانتفاع باستعماله أن تقل خشونته ويكتسب نعومة غير أن المكتسي به لا ينتفع به ألبتة وعلامة الدشتكة أن تنظر الى شريش الثوب فتجده مقطماً فاذا استشففته وجدت فيه مواضع قد خفت حتي تكاد أن تفتح ومواضع صفيقة وتنظر حواشي الثوب فتجدها غير سليمة لان فيها مواضع أثر الخياط وتعرف جودة البرد وكل من القوط والعتابي وغيرهما من خيوطه المختلفة الالوان فان تداخل بعضها في بعضها واختلفت بدقة وغلظ وتنديد فهو ردىء وان صحت وانتظمت في طرائقها دل على صحة الغزل وجودة النسج والسلامة في القصارة

اللبود

أفضلها مادق ثوبه واستوي نسجه وحسن صبغه وصلب لقوة دلكه ونم صوفه وعلامة استواء ندفه أن يستشف فيكون شيأ واحداً ليس فيه موضع دقيق ولا موضع غليظ وأردأها ما كان بخلاف هذه الصفات ويجب أن يحتاط عليها من الغبار . وهي تسوس اذا بقيت مدة لا تستعمل

البسط والطنافس

أجودها ماحسن صبغه وصفق نسجه وثبتت قوته من ظاهره اكثر من باطنه فان رخاوته تدل على خفة النسج وأما نعومة الصوف فهي جيدة في سائر أنواعه

المناطر والاشلة

أجودها مادق سلكه وصلب نسجه ونم لمسه وحسن صبغه وأردأها ماخالف هذه الصفات

القول في الحديد والنحاس والرصاصين والزئبق

أما الحديد الارماهن فأجوده القضبان الصافية . واعلم أن الصدأ يتسلط عليه وعلى سائر الاعلاق المصنوعة منه سيما فى البلاد القريبة من البحر المالح ولا يصان شيء منها من الصدأ الا أن يحمي ويمر عليه بقطعة شمع حتى يقبل منها ماعنع الهواء أن يدخل عليه وكذلك الزفت السائل اذا خلط معه الشمع

وأما الفولاذ فانه أصناف ينسب الى البلاد التى عمل فيها وسبك والى الصناع الحاذقين بعمله لانه مصنوع وليس يخرج من المعادن فولاذا وأفضله ماصفا وواتى فى العمل وقبل الماء فى السقاية بسرعة ومنه الجوهر

وأما الحديد الذكر فافضله القضبان الصافية المواتية

والنحاس صنفان فالمعدنى الاحمر ليس فيه اختلاف وأما المصنوع الاصفر فانه يختلف بحسب صناعه والاماكن التى عمل بها وأفضله ماسبك بالاندلس لاقتدار الصناع على عمل التوتيا التي يعمل بها وأماكنها ورخصها فما أشبه الذهب ومال الي الخضرة فهو النهاية وأردأ الاصفر ما كانت صفرته مبرصة تميل الي الحمرة

وأما الاسباذروه فانه مصنوع وهو صلف يسرع اليه الكسر وتؤذيه النار بعد فراغه من العمل . وأفضله ما كان لونه مائلا الى البياض وحسنت صنعته

والرصاص الاسرب هوالاسود وأفضله ماجلب من المعدن ولم يستعمل بعد وأردأه ماتكرر عمله وهو من البضائع المأمونة التي لايسرع اليها فساد

وأما القلعي وهو القصدير فكثيرا مايتحيل فيه بأن يجعل فى القطع الكبار منه الكحل فى وقت سبكها فلا يعرف وقد يستتر بالقطع .

وأما الزئبق فأفضله ما كان مجلوبا من المعدن الذى بالقرب من طليطلة فانه أثبت في العمل وليس فيه علامة تدل عليه وهو من البضائع التي لاتصلح الا لمقيم قد أعد عنده آلة من حجر مثل حوض أو مايجري هذا المجرى وان لم يكن عنده ذلك فهو معرض للتلف لانه كالعبد الآبق

القول في الاقوات وما يجري مجراها

الحنطة تختلف مدة بقائها فى البلاد بحسب أهويتها وتربتها والسقى منها والنداء . ويصونها أهل كل بلد بنوع من الصيانة خلاف الآخر على قدر ماجربوه وعرفوه .

ومما يلزم فى الاحتياط عليها فى أكثر البلاد أن يتخير القمح للخزن فيدخر منه ما كان أسمر لونا وأصلب جسما أو ما كان عديا أو في مواضع جبلية وما كان منه غير معضوب وقد كمل سمنه وأحكم جفافه وأقام فى بيدره ثم حمل على الظهر

القول في تخير المخزن

كل ما كان من المخازن ناشفا وحيطانه وأرضه ناشفة من البلل والنداوة فان كانت أرضه مبلطة فهو أفضل وذلك أن الذى يخزن من الغلات فى المواضع

الندية لا يكاد أن تبقيه الحرارة المفنة فيجب أن يكون بابه وطاقاته التي للضوء الى جهة المشرق لانها مهب ريح الصبا وهى أقل الرياح رطوبة وعفنا وكذلك يفعل فى خزن الشعير سوي بعض ما قيل في خزن الحنطة وحفظها واذا خلط فى كل ماتمجزء من الحنطة جزؤ من الرماد الابيض حفظها

وفى كتب الخواص ان من دفن فى الحنطة عظم ساق ميت لم يسوس ومتى خلط فى العجين المرتك المسحوق بالزرنيخ واكل الفأر منه مات والاحتفاظ فى خزن الشعير وشعير الارز والقطانى على اختلاف أصنافها كالاحتياط على الحنطة . والسمسم بقشره والدخن وا كثر آفات هذه الاشياء الفأر فيجب أن يخزن فى المخازن المبلطة ذوات الحيطان المحكمة ويجعل فيها فى بعض الاوقات السنانير ومصائد الفأر والادوية التي تسحق وتعجن بالدقيق والخبز لقتل الفأر كالحربق الاسود والزرنيخ والمرتك وغيرها وأما بزر البقل فيحفظ من النداوة خاصة

الدقيق

متى نخل وزالت عنه نخالته وخلط معه من الملح المسحوق بقدر حاجته وحشى في خوابي جدد أو خوابى كانت برسم الماء ثم جففت منه فانها جيدة وتبقى مدة أشهر ومتى عدمت الخوابي وحشى فى جوالقات أدم أو ظروف مدبوغة نظاف بقى مدة وقد يضره الملح فى البلاد القريبة من البحر

الزيت

يجب أن يختار للزيت ما كان دفيئا سخنا ويكون بابه وطاقات الضوء فيه الي جهة الجنوب وتكون أرضه محكمة التبليط وحيطانه موزرة بالجبس والجير

وذلك نافع من ثلاثة أوجه . أحدها انه متي كان دفيئا سخنا كانت الحوابي فيه سخنة فيرق الزيت وينصقل ويكتسب لمانا وحسنا وكون بابه وطاقاته الى جهة الجنوب يعين على هذا الغرض لانها ريح حارة وأما الثاني فانه متى حدث ببعض أوعيته حادث فاهريق على الارض منه شي تدورك وجمع منه البعض وربما لم يتلف الا اليسير . والثالث انه متى كانت أرضه وحيطانه محكمة وتفقدت لم يكن فيها جحر فار وتختار له الحوابي المجربة فان كانت متساوية القدر والشكل فهو أحسن . واذا ملئت فدع منها بعضها فارغا ليكون عدة فان حدث بشيء منها حادث حول الى الاخرى . وأما صهاريج الزيت فانها خطرة جدا

الخل

يعتمد في خزنه والاحتياط عليه كما وصفت في الزيت سواء ويحكم تغطيه جميع الحوابي ثم تطين أغطيتها بالجبس وتختم بالرشوم الا أن عمل الخل صنعة يحتاج في تعليمه الى مشاهدة ودربة ولا يجزيء وصفه في كتاب وتحتاج أوعيته أن تكون مزفتة ومتى ضعف وقلت حموضته وكثر دوده فيؤخذ بعضه فيغلى ويرد على باقيه ويطرح فيه فلفل مدقوق

وأما الشيرج فلا يصلح للخزن بسبب انه يروح ويتغير طعمه سريعا فلا يجب ان يستعمل الا طريا

الصابون

يعتمد في خزنه ان يعتبر أولا بالمشاهدة فان كان جيدا انتقدت خزنه وأحرازه وان كان في أوعيته كسر أو شق حول الى وعاء صحيح ثم يتخير له من المخازن ما كان باردا هوائيا فيودع فيه

القول في العسل والربوب كلها

أما عسل النحل فاذا كان جيدا بقي مدة كبيرة لا يتغير ولا يفسد وأما عسل القصب والربوب باجمعها فانه متى كانت فيها رقة ولم تكن نارها زائدة وهي غليظة القوام فانها تفسد وتحمض

السكر الابيض والاحمر

متى حفظ ذلك من النداوة والغار يبقى مدة طويلة وافضل السكر الابيض ماصلب منه وصفا لونه . وأفضل الاحمر ما كان بهذه الصفة وأردأ كل رديء منه مامال لونه الى السواد وطعمه الى الملوحة

الفواكه اليابسة

كالتين والزبيب والعناب والجوز والفستق واللوز والبندق فان كثرة استعمال الناس لها توجب معرفتهم بها ويستغني بذلك عن وصفها

وأما الفواكه الرطبة فانه متى احتيج الى حفظ شيء منها في الاسفار أو ما يجري مجراها فانها اذا جعلت في عسل النحل حفظت

اللحم والشحم

اذا احتيج الى ادخار اللحم والشحم لاجل الاسفار أو الحصار أو ماشا كل ذلك فيجب أن يشرح وينقى من العروق والعظام ويجعل عليه ملح قليل ثم يمد على بلاطة ويوضع عليه لوح ويثقل بأحجار ويترك ست ساعات حتى يتصفى مافيه من الدم والمائية ثم ينشر على حبل في الهواء والظل ست ساعات أيضا ثم يقطع ويقلى في القدر على النار بالشحم المسلي الذي قد نزع منه سلاه والزيت حتى ينضج ثم يرفع في أواني فخار من غير أن يكون طرح في الشحم

الذي غلى به ملح ولا ابزار الا الدار صيني فقط وتحكم تغطيته وكذلك الشحم اذا جفف فى الظل بعد أن ينقى من العروق والغدد وينشف حتي لا يبقى فيه نداوة ويرفع من غير أن يملح فانه يبقى مدة . وان سلي الشحم والالية وأسرع فى أن لايحترق ونزع منه السلا ولم يجعل فيه ملح ولا ابزار ورفع في اناء مدهون فان ذلك يبقى مدة كبيرة . والجبن اليابس يطلى بعكر الزيت وأما القنبريس وهو نوع من الجبن فلا يثبت الا فى البلاد البادرة الشديدة البرد

الحطب والفحم والتبن

هذه الاشياء مما يجب الاعتناء بتحصيلها في ابانها وحفظها لاسيما اذا كانت الحاشية والدواب كثيرة فان ذلك مما يجب أن يصرف الاهتمام اليه وأن لايغفل أمره ألبتة . فقد قيل انه حصر بعض الحصون وامتنع وكان عند أهله سائر الاقوات فعدموا الحطب فاوقدوا ابوابهم وسقوف بيوتهم فلما نفد سلموا الحصن والقوا بأيديهم لعدم الحطب

وقيل مكتوب على باب مدينة قرطاجنة الحطب القمح الحطب فجعلوا الحطب مرتين والقمح مرة واحدة

فصل في العقار

أما مايم جيبه من محمود الصفات فافضله ماخلص من الاشتراك للراحة من الخصومات والمناظرات ومما ينتج من المداوات وماكانت أصول ملكه سليمة من الغصب والوقف والتحبيس والحكر وهو من أفضل الاموال مع العدل الشامل . والامن الكامل . لانه يجر مالا بصناعة وبغير صناعة

القول في المزدوع

وهو الاملاك الظاهرة وافضلها ماقرب من البلاد الجامعة وكان جيد التربة كثير الماء قليل الخراج مجاورا لاهل السلامة

أما قربها من البلد الجامعة فلتمكنه من مباشرتها بنفسه وتفقد مصالحها فى كل وقت بغير مشقة ولا كلفة سفر ولأ منها من عيث المفسدين واللصوص ولطمأنينة من يتولاها من الفلاحين والـكرامين

وأما جودة التربة فتظهر من طيب رائحة الارض . وأما لونها فافضل ألوانها السواد أو الحمرة الغميقة الـكمدية

وأما ذوقها فبأن تكون سالمة من الملوحـة السبخية والخشونة الرملية وتبين أيضا جودة الارض بان يحفر موضع منها ثم يعاد التراب المحفور اليه ويملأ به فان فضل من التراب بعد ملئه شيء كثير دل على سمن الارض وقوتها وان كان موازيا لملئه أو فضـل شيء يسير أوعجز عنه فـكل ذلك يدل على ضعف الارض ورقتها فان كانت تسقي سيحا وكانت المياه مقسمة فبان يكون لها من الوفاء حصة معروفة تزيد وتفضل عما تحتاج اليه وان كانت تسقى من المدود فى أوقات الزيادة فافضلها الارض المتواطئة التى هى غير مستفلة ليؤمن عليها من الغرق ولا معلقة مرتفعة فيخشي عليها العطش : وإن كانت تسقى بالدواليب فبأن تكوون آبارها محكمة البناء غزيرة الماء غير عميقة ولا ضيقة

وأما قلة الخراج فاوضح صلاحا مما يحتاج اليه وكذلك مجاورة أهـل السلامة خوفا من جيران السوء

القول في المستغلات التي في بواطن البلاد

أفضلها ما توسط البلد وقرب من الماء والسوق ومنها الحمامات وأفضلها للمالك ما توسط العمارة وكانت مصارف الماء واسعة مستقلة ليؤمن عليها من الاختناق وكانت بيوتها متوسطة مكتنزة ليعمل فيها الوقود وكان مخلمها وقمينها واسعين ليمكن ادخار الكثير من الوقود لها . وان كان ماؤها بدولاب فما قل عمق بئرها فهي أفضل . وان كان ماؤها جاريا فما قرب من جهة الماء ومعظمه والحمامات مكروهة عند محبي الخمول لاشتهار اسم صاحبها وكذلك أيضا الفنادق والارحية وجميع الاربع من الحوانيت والادور وغيرها فيجب على مالكها ان لا يتولى استخراج الاجرة بنفسه ليأمن من اكتساب العداوة والبغضاء من السكان والاستخراج انما هو انتزاع الارواح واخراج الضغائن قال الله تعالى « ولا يسألكم أموالكم ان يسألكموها فيحفكم تبخلوا ويخرج أضغانكم » ولكن يندب لذلك متوليا وينسب انه متقبل أوضامن لتعود اللائمة والتشكي لذلك دونه وان أتى اليه من السكان من يشتكي فقراً متضررا أرفقه وساعده أو من يسأل النظرة اجابه وأحسن عشرته . ويجب ان تحتاط في شراء الاملاك فلا تشتر الا من ثقة مأمون له ذمة وهو مقيم معك في البلد قاطن لتأمن حيلة تتم عليك في ادعاء رقبة الملك بكتاب حبس متقدم أو صدقة أو مناقلة أو شيء من وجوه التمليكات متقدم العهد وتطلب من البائع كتب الاصول لتكون حجة معك فان لم يدفعها اليك وقال انا أريدها أيضا حجة بيدي بما ساغ لي البيع فتأخذ نسختها وتشهد فيها الشهود . ويجب أن تحتاط في الشهادة وتسأل عن الشهود ان لم تكن خبيرا بهم حتى

تعرف المشهورين بالامانة والنزاهة فى الدين واليسار فتأخذ شهادتهم فان فى اكثر الاوقات يدخل فى الشهود من لا يستحق منزلة العدالة اما لعناية به أوجاه بعض أقاربه ويلبث مدة ثم ربما حدث أمر آخر فاسقط فيضيع كتابك وأما ما يجب تفقده فى المواضع العامرة فأس الحيطان وعقود القناطر والاقباء والاركان التى عليها ثقل البناء ومصارف الماء وما شاكل ذلك فمواقع الحاجة الى ذلك معلومة لا تخفى على الناس

فصل في الحيوان

يجب فى كل ما تشتريه أن لا تعول على أول نظرة فقد قيل أول نظرة سحر . وقيل اتهم نظرك فيما تستحسن حتى يكون الاستحسان على حال واحد لا ينقصه تكرار النظر فان تكرار النظر يجلو كل صدأ فاذا تكرر وثبت فى الاوقات المختلفة على حال واحد في الجمال فهو الجميل حقا فان زاد فهو الغاية القصوى وذلك الذي قصده الشاعر بقوله

يزيدك وجهه حسنا * اذا ما زدته نظرا

وبين نظر الراغب فى الشيء أو المحتاج اليه وبين نظر الزاهد فيه بون بعيد وذلك أن المستغنى عن الشيء ينظر اليه بنظر سالم من الشهوة ويفكر فيه بعقل خالص من الهوى والرغبة وذو الحاجة يستحسن غير الحسن ويهون عنده غير الهين فأول ما يجب فى الاستعراض أن تستنطق الجارية أو المملوك وتخاطبها بصوت خفيّ وفى ذلك يا أخي ثلاث فوائد . الاولى منها انك تعتبر سمعها فان كان فيه ثقل احتاجت ان تستفهم منك. الثانية منها أنها تجيبك فيبين كلامها ان كان سالما من التمتمة والحبسة واللثغة واللفف. الثالث منها ان فى تكرار

الكلام والاجوبة يبين لك مقدار عقلها فى معانى ما تورده وتصدره من أسباب بيعها وهل ذلك من جهتها أو من جهة مالكها وما تذكره عن مواليها ثم تتفقد المواضع التى يجب تأملها عند شراء الرقيق

القول في الخيل والبغال والحمير والابل

مما يعم الجميع من الصفات المحمودة الفتاء فان الفتيّ من جميعها الرباع أو القارح خير فى الاستخدام والانتفاع . ومما يعمها أيضا نقاء الظهر وصحة القوائم وجودة الانف واستيفاء العلف وكبر العنق وسعة الصدر وعرض الاوراك وقصر الظهر وما شاكل ذلك

واذا أردت استعراض الفرس فأمر غيرك أن يركبه ويسيره وأنت تراه مقبلا ومدبراً واذا رأيته واسع الفروج من غير فحج جيد فان الفحج عيب قبيح كما ان الصكك عيب قال الشاعر وهو زهير بن أبي سلمى

وقد أسير أمام الحى تحملني * جرداء لا فحج فيها ولا صكك

وتأمل فى وقع حوافره فان وجدته يضع حوافر رجليه موضع حوافر يديه وأزيد قليلا فهو جيد والزيادة الفاحشة والنقصان الفاحش عيب واضح والطرقة الجيدة سبق ثان والقطف عيب فاضح والمملجة فى الخيول العربية عيب . واذا رأيت الفرس في جريه يستعين بمد رقبته وينكس رأسه دل على أن نفسه جيدة وبنية أعضائه ليست مطبوعة مواتية على السرعة . واذا رأيته يجرى وهو كالمتشوف فهى صفة محمودة وتبين جودة الفرس في شدة تقريبه كتقريب الذئب بأربعته وهو يتشوف ويلتفت فذاك من الصفات الجيدة . وتأمل أخذ الفرس فى شدة جريه فان كان أخذه أخذا واسعا مع انكماش

فذاك السابق الفائق. والفرس الدنىء بالضد من ذلك فهو اما أخذه واسع مع ابطاء أو ضيق مع انكماش . ويتأمل الفرس فى وقوفه لاسيما عند الراحة من التعب فان وقف على أربعة لم يسترح وتسميه العرب في تلك الحال الصائم فهو جيد وان استراح باحدى رجليه بأن يقيم سنبكه فهو جيد أيضاً وتسميه العرب في تلك الحال الصافن فان استراح بيده بعدها فهو رديء ويدل على عيب فى الصدر

القول في الماشية

وهي البقر والجواميس والغنم والمعز والابل السائمة . اقتناء الماشية على أصنافها صالح حسن نافع مع الامن الشامل وقلة الاعداء وكثرة الناصر وتفقد المالك لها ومراعاته مصالحها فى كل وقت ووجود الاعوان الخبيرين بسياستها وادخار ماترفق به من علوفاتها فى صميم الشتاء وما يصلح رعاتها به من المؤن والكسوة

والماشية تصلح إما لرجل له زرع ومواضع رعي إما في ملكه أو مستأجرة ويقرها فى القرية التى زراعته فيها وله أعوان وكفاة . أو لرجل بدوي يرحل فى طلب المراعى ويسكن بيوت الشعر ويستوطن البر وله عز من عشيرة

وأما غير هذين الرجلين فلن يخطئه فيها مايكمده ويضيق صدره وعلى كل الوجوه فلا مندوحة للفلاح من البقر كما لاغنى للبدوي عن الابل

فصل في اسباب حصول الاموال

جميع أسباب حصول الاموال تأتي من جهتين . إحداها من طريق

القصد والطلب . والثانيـة من طريق المصـادفة والعرض . فأما ما كان من طريق المصادفة والعرض فهو كمثل المواريث عن الآباء والاهل والاقارب. والعرب تسميه المـال التليد وكوجود الخبايا التى لم يبق لها أحد وتسمي الركاز وكذلك كلما يأتي من الفوائد باتفاق . وأما ما كان بطريق القصد والطلب فهو ينقسم الى قسمين إما اكتساب مغالبة أو اكتساب بنوع من الاحتيال ويخرج أيضا الى نوع ثالث وهو الاكتساب بأمر مركب من مغالبة واحتيال

فصل في اكتساب المغالبة

اكتساب المغالبـة ينقسم الى جهتـين . احـداهما سلطانية . والاخرى خارجيـة . فأما السـلطانية فهي كالجبايات من المـكوس والرسوم والخراج والاعشار والصدقات وفيء المشركين وجوالى الذمة وما شاكل ذلك . وأما الخارجية فهى صنفان . أحدهما معلن . والآخر مسـتتر فأما المعلن فهو قطع الطريق والنهب والغارات وما أشبه ذلك وأما المستتر فكالسرقة

فصل في الاكتساب بانواع الاحتيال

ضروب الاحتيال فى طلب الاكتساب تنقسم الى ثلاثة أقسـام وهي إما تجارة . أو صناعة أو أمر مركب منهما

فأما الصنائع فنها علمية . ومنها عملية . فأما الصنائع العلمية فالفقه والنحو والهندسة وما جرى هذا المجرى . وأما العملية فالحياكة والفلاحة ومشط الصوف والكتان وما جري هذا المجري مما لايحتاج صانعه فى ادراكه الا الى كثرة المشاهدة والدربة فيثبت رسوم ذلك في نفسه كمثل البهيمة التي عودت

نوعا من الرياضة فعرفته وثبتت رسومه عندها وأما المركبة منهما فكالطب والفروسية والكتابة وما شاكل ذلك

وأما المتاجر فهي تكون كسائر صنوف الاموال من الاعراض وغيرها

والتجار ينقسمون الي ثلاثة أصناف فنهم الركاض . ومنهم الخزان . ومنهم المجهز

وأما مبايعتهم فهم فيها على ثلاثة أوجه . وهى إما سلف مؤجل . أو استسلاف منجم . أو مقارضة فأما المتضمن فلا يعد من التجار وانما هو أجير للمالك والذي يؤمله من الربح إنما هو أجرة له على خدمته وضبطه واستخراجه مال الضمان

والفرق بينه وبين المقارض وهو التاجر الذى يعمل بمال غيره ان المقارض لادرك عليه فى الذمة من خسارة المال الذى يعمل فيه مالم يتجاوز الاماكن التى وقع الاتفاق عليها والضمانات فهى من المعائب الرديئة مالم يساعدها الجاه العريض الكثير

وأما الاشياء المركبة من صناعة وتجارة فكالبزازة والعطارة وما شاكل ذلك لان كل واحدة من هاتين مركبة. أما دخولها فى باب الصنائع فلاجل حاجة البزاز الى معرفة مقادير الامتعة وجيدها ورديئها وغشوش المدلسين فيها . وأما العطار فانه يحتاج الى معرفة العقاقير والادوية والاشربة والطيب وجيد ذلك ورديئه وغشوش المدلسين فيه وما يحول ويفسد بسرعة وما لا يسرع اليه الفساد وما يعتمد فى حفظه واصلاحه وتركيب معاجين وأشربه وسفوفات وجوارشات . والبزاز أيضا يحتاج الى طيّ المتاع ونشره وما يعتمد في حفظه . وأما دخول العطار والبزاز فى باب المتاجرة فلاجل

البيع والشراء والمرابحة ومايجرى هذا المجرى

فصل في بيان

« الاكتساب بالامر المركب من المغالبة والاحتيال »

الامور المركبة من المغالبة والاحتيال هى كتجارة السلطان التي تكون فيها الطروح والابتياع والبيع الذى لا يقدر أحد ان يزيد عليه فى حال الشراء ولا يمنع من تحكمه فى البيع

وقد قال بعض الحكماء اذا شارك السلطان الرعية فى متاجرهم هلكوا وان شاركوه فى حمل السلاح هلك

وكذلك أيضاً معاملات ذوي الجاه العريض فى تضمينهم املاك الرعية وسلفهم على الغلات ومنع العامة من البيع والشراء لما يحتاجون الى بيعه وشرائه

فصل في الصنائع

الصنائع مختلفات . ولها درجات متباينات : فنها ما يرفع أهله ويشرفهم ويغنيهم عند المساجلة والمكاثرة من كريم المناسب . وشريف المناصب . ومنها مايضع المحترفين به أشد الضعة ويخملهم أقبح الخمول حتى لايكون لاحد منهم نظر فى منزلة ولا كفاءة فى مناكحة وان كان لبعضهم قديم يذكر به وأب معروف يعتزى اليه

وقد قال أمير المؤمنين على بن ابي طالب رضى الله عنه. قيمة كل أمرء مايحسن . وقال أيضا عليه السلام. الناس أبناء مايحسنونه

فالعلم بالصنائع والعلوم على الاطلاق حسن لكن بعضها أفضل من بعض ويجري التفاضل بينها من وجهين وهما من قبل موضوعها ومن قبل غايتها

مثال ذلك قولنا الطبيب أفضل من النجار. بيان ذلك أن موضوع الطبيب الذى ينظر فيه ويبين أثر صناعته ابدان الناس وموضوع النجار الذي ينظر فيه ويبين اثر صناعته الخشب وابدان الناس أفضل من الخشب . وأما من قبل الغاية فان غاية الطبيب حفظ الصحة الموجودة . واعادة الصحة المفقودة. وغاية النجار تاليف الخشب على الصورة القائمة فى نفسه كالسرير والباب. وحفظ الصحة على الابدان السقيمة أفضل من عمل الباب والسرير . والنجار لا يكاد ينتفع به فى الوقت الواحد الا واحد من الناس . والطبيب ينتفع به فى الوقت الواحد الجماعة الكثيرة من الناس وبهذا المثال يقع التفاضل فى سائر الصنائع

فان قيل فموضوع صناعة المزين والمدلك لأبدان الناس قد ساوى موضوع صناعة الطبيب

فالجواب انهما بغلام الطبيب أشبه . الا ترى أن الملك قد يأمر بقتل أهل الفساد واقامة الحد وينسب ذلك الفعل اليه وان كان المتولي لذلك أخس الرجال ولو اتفق أن يقتل الملك بيده لم يجز أن يقال قد وقع التساوي بين الملك وذلك الرجل لاتفاقهما فى الفعل

والرياسة التى تنال بها الحال الدنيوية مقسومة بين السيف والقلم . فأما رياسة السيف فللملوك والامراء والحجاب وقواد العساكر ووجوه العشائر ورؤساء القبائل . وأما رياسة القلم فللوزراء والكتاب والقضاة والخطباء ومن يجرى مجراهم وأصحاب السيوف هم الحماة . وأصحاب الاقلام هم الكفاة . وكل

صناعة غير هاتين فليس يذكر صاحبها بعز قال الشاعر

لاتطلبن معيشة بمذلة * فليأتينك رزقك المقدور

وقال آخر أيضا يرثى

أيا شجر الخابور مالك مورقا * كأنك لم تجزع على ابن طريف

فتى لايحب الزاد الامن التقي * ولا المال الامن قنى وسيوف

وأما الصنائع العملية وهى المهن فقد قيل قديما.الصناعة فى الكف أمان من الفقر وأمان من الغنى.وذلك أن الصانع بيده لايكاد كسبه يقصر عن عن اقامة مالابدله منه ولايكاد كسبه يتسع لاقتناء ضيعة أو عقدنعمة وأيضا فانه مع ذلك اذا ميز الناس دخل فى أدون طبقاتهم

وأما الصنائع التي كرهتها الحكماء الاخيار فمنها الصنائع المضرة بالعقول والآراء وهى التي يخالط ذووها النساء والصبيان كثيراً ومنها الصنائع المضرة بالادمغة والاجسام مثل معاناة الاشياء المنتنة والسمك والغبار كصناعة الكيال والمغربل والذي يدق الكتان والاعمال الشاقة مثل حمل الاثقال وما شاكل هذا الامر والخدم المهينة التي تكسب العار مثل من يعرض نفسه للصفع والسخرية والاستهزاء والحتار والقيادة فنعوذ بالله من كل شر

فصل في وصايا نافعة لسائر التجار باذن الله عز وجل

كل ما يباع أو يشترى فهو اما مكيل أو موزون أو مذروع أو مقدر بالزمان أو مقدر بالعدد فيحتاج التاجر الى معرفة غشوش الكيالين والوزانين والمساح والعدادين والى العلم باستخراج الساعات الزمانية والمعتدلة واستخراج بعضها من بعض لئلا يقلد غير مأمون . ويجب أن لا يصدق لاحد من

السماسرة قولا ولا يقبل لهم نصحا فانها صناعة مبنية على الكذب ولو كان قد تقدم بينك وبينه أعظم صداقة وآكد جوار فان الدلال تارة يصف البضاعة وجودتها ويباهت أهل الخبرة بها. وتارة يذكر قلتها وأنه لم يبق في البلد منها شيء يباع غير الذي تحت يده . وتارة يذكر أنها ستغلو ويرتفع سعرها. وتارة يذكر أن الراغبين اليه فيها كثير وربما واطأ قوما يأتون اليه بحضرة الزبون يطلبونها ويدفعون اليه العربون ويقيدونه ألا ترى أن الوكلاء يرتبون في حلق البيع من يزيد في البضائع ويوهم الناس والتجار انه مشتر وذلك حيلة على الراغبين ولا يتورعون من هذا الفعل وان كانوا ممن ينسب الى صلاح وأمانة وذلك أنهم فى صناعة الماهر عندهم فيها من باع بالزيادة وهم يفتخرون بهذا ويشتهون أن يشيع عنهم لانه من أبواب المعيشة

واعلم أن المصدق بغير دليل مقلد والمقلد مذموم عند سائر العقلاء وقابل المحال مخدوع والمخدوع ليس بحكيم والعرب تقول لا رأى لمكذوب . وذلك ان المصدق بالمحال يبني تدبيره على حسب ما قيل له فيكون رأيه فاسداً لانه مبنى على الكذب

ويجب ان يحترس أيضا من التصديق باحاديث كثير من التجار فان منهم من اذا أراد شراء بضاعة وانكشف له نفاقها فى بعض البلاد التى يريد السفر اليها حدث وأشاع ان تلك البضاعة في تلك البلد بأسرة قد سقط سعرها وقل طالبها ووقع النهى عنها وربما زور كتابا بخط مجهول وضمنه ذلك وذكر انه وصل اليه من قريب له أو صديق ونصب هو من يشتريها له وربما كان قد تواطأ هو وصاحب له في ذلك الموضع على مثل هذا فقال له اذا كتبت اليك وأنا أقول الله الله احذر أن تشتري البضاعة الفلانية

لكسادها فلا تشترها فاشترها واذا ذكرت لك ان قيمتها عندنا دينار فاعلم انها ديناران فربما وقع الكتاب في يد غيرك قبل وصوله اليك فانه لا يؤمن ولا يكاد يسلم من ذلك فتفوت الفرصة فيه . ومن التجار من اذا أراد بيع بضاعة عنده وكان عند غيره مثلها وثمنها عشرة دنانير مثلا فانه يحدث مع التجار انه قد دفع له فيها أحد عشر دينارا ورغب اليه في ذلك فامتنع وأنه طامع في الزيادة فيمتنع غيره من البيع اذا سمع ذلك ويكون الذي بذل له عشرة دنانير ثم يمضي هو ويعقد البيع على متاعه ويتزن ثمنه وربما سأل المشترين ان يذكروا انهم ابتاعوا منه بأزيد من السعر فان لامه بعد ذلك القوم الذين غرهم بقوله قال لم أرغب في البيع لكن قادتني اليه ضرورة ويعتذر باعذار يصنعها

والتاجر اذا اشترى الأثقال يحتاج الى ان يكون معه أصحاب ثقات وأعوان كفاة يعينونه وقت الشراء ووقت الحزم والحمل ووقت التقليب والبيع فانه ان كان وحيدا تأذي قلبه وجسمه وطمع في سرقة ماله الجمالون والحمالون والبحرية وكل من يجري مجراهم ممن يحتاج الى معونته بسببها في التنقل . فالاصلح لمن كان وحيدا من التجار ان يعتمد على الخفيف الذي يمكنه الاحتياط عليه بنفسه

وأصل التجارة في البيع والشراء ان يشتري من زاهد أو مضطر الى أخذ الثمن ويبيع من راغب أو محتاج الى الشراء لان ذلك من أوكد الاسباب الى مكان الاستصلاح في المشتري وتوفر الربح. ويحتاج التاجر ان يكون معه من سوء الظن مثل ما معه من حسن الظن فانه اذا ساء ظنه كان سببا لحفظ رأس ماله وان حسن ظنه أخطر به وكان ما يخشى عليه زائداً على مقدار ما يرجي له

وليعلم أن افراط الحرص فى طلب الفائدة ربما كان سببا للحرمان وأن شدة الاجتهاد فى طلب الربح طريق الى الخسران . والدليل على ذلك ان بين شراء الراغب الحريص وبين شراء قليل الرغبة الشافى نفسه من كلب الحرص المعتق لها من رق عبودية الشهوة بونا بعيدا وتفاوتا كثيرا وبمثله تكون التجارة لان من اشتد حرصه عمى عن جميع مراشده وفقد الحكمة ومال الى الهوي وعدل عن حكم العقل وخير الامور ما سر عاجله وحسنت عاقبته

ويجب على التاجر اذا رأي البركة فى نوع من الانواع أو جهة من الجهات ان يلزم ذلك الشيء ماخلا مافيه اشراف على خطر أو خوف استدراج فانه قد يكون من قسمة الانسان توفر الحظ له في ذلك النوع

وقد جاء فى الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قام اليه فى بعض الايام رجل فقال ان معيشته التجارة وهو عارف فيها لا يشتري شيأ الا كسد أو فسد عنده فقال له هل ربحت قط فى شيء اشتريته وتجاسرت به ربحا سررت به فقال ما اذكر انه اتفق لي ذلك الا فى القرض قال فالزم القرض فلزمه فاستغنى وأثري وحسنت حاله فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال «من بورك له في شيء فليلزمه »

ويجب على التاجر ان يتمد المسامحة فى البيع فانها أحد أبواب المعيشة ومجلبة للرزق وذلك بان يقرر التاجر فى نفسه انه اذا ربح ديناراً واحدا مثلا كان نصفه موقوفاً على المسامحة إما في وزن أو نقد أو هبة لواسطة أو حطيطة ان سأل المشتري فيها فان المشترى انما باله وذهنه مصروف الى ذلك فان كان التاجر شرها وقال في نفسه قد فرطت فى البيع بربح دينار ولو كنت شددت لكان أربحني دينارا وربما لانه راغب في الشراء ولكن الرأي الآن أن

استوفى في الوزن جدا وأستخرجه راجحاً واستجيد النقد وأتحكم فيه ولا ادفع لسمسار ولا لواسطة شيأ فاذا حدثته نفسه بذلك وفعله وقع الاختلاف اذ كانت الضمائر متباينة وانصرف المشترى عنه ففاته الجميع وماد يمني نفسه بان يرجع اليه فانتقل من حاصل الى مأمول وليس كان مثل يكون . الا فى رفع الاسماء ونصب الاخبار على ما قرره النحويون .

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « السماح رباح » وقال النبي صلى الله عليه وسلم « رحم الله رجلا سمحا قاضيا ومقتضياً بائعا ومشتريا» ومن أمثال العامة قولهم.الدهن يبيع الهريسة

فصل في ذكر محاسن التجارة

التجارة اذا ميزت من جميع المعايش كلها وجدتها أفضل وأسعد للناس فى الدنيا والتاجر موسع عليه وله مروءة ومن نبل التاجر أن يكون في ملكه الوف كثيرة ولا يضره أن يكون ثوبه مقاربا فالذى يتصرف مع السلطان لعله تقصر يده فى بعض الاوقات عن نفقته وهو مع ذلك محتاج الي صقل ثوبه وعمامته وجمال دابته وتنظيف عدتها وسرجها ولجامها وغلامه فان كان جنديا فمؤنته أغلظ وعيشه أنكد وهو عند الناس ظالم وان أنصفهم ومبغض وان تحبب اليهم ومكروه الجوار وان أحسن جواره

ومما لم يسمع من أحد قبل النبي صلي الله عليه وسلم قوله «ماأملق تاجر صدوق» الا أن التجارة مع ماذكرته من فضلها مبنية على الشدة والمصارفة والنظر فى الحقير والمضايقة فى الطفيف ومتى لم يكن التاجر عندهم هكذا كان مهيا

فصل في احد اصناف التجار وهو الخزان

أعلم ياأخي وفقك الله لما يحب ويرضى ان قانون أمر الخزان ان يشتري الشيء في ابانه وتواتر حمله وكثرة البائعين له وقلة الطالبين ثم احكام حفظه والتربص به الي اضداد هذه الاشياء اعني انقطاع وصوله وتعذر حمله وبعد وقته وكثرة طلابه . هذا الصنف من التجار أحوج الناس الى تقديم المعرفة باحوال البضائع في اماكنها وبلادها وكثرتها فيها أو قلتها ورخصها أو غلائها وتوفر ربحها وسلامته أو نقصانه أو عطبه وانقطاع الطريق أو أمنها وذلك باستطلاع الاخبار والتقصي من الركبان فانه مانفقت قط بضاعة من كثرة وانما تنفق من قلتها بالاضافة الي طلابها

وقيل ان عبد الله المأمون بن هارون الرشيد من ولد العباس عم النبي صلي الله عليه وسلم قال يوما لاحمد بن يوسف الكاتب اني أري هذه السنة وما يتناهى من كثرة العمارة فيها ستؤدي الى اتضاع الاسعار ورخصها الى أتم رخص فاكتب عنا الي العمال بالمبادرة ببيع غلات أعمالهم فكتب أحمد بن يوسف كتابا في هذا المعنى فأطاله فلما وقف عليه عبد الله المأمون لم يرضه فقلبه وكتب على ظهره بخطه. أما بعد فان للامور أوائل يستدل بها على أواخرها ومخايل تنبيء عما يؤول الحال اليه عند نافيها وربما كذبت الدليلة واخطأت المخيلة. الا أن الاستظهار سلامة من الاعتذار وان أمير المؤمنين بما علمه من أحوال هذه السنة الدالة على خصبها يرى أن ذلك سبب لاتضاع أسعارها فبادر ببيع غلاتك التي فى عملك آخذا من كل سوق بحظ متناولا من كل سعر بقسط واكتب بما تبيعه في أوقاته مفصلا صفاته واسعاره ونواحيه واسماء تجاره وما منه معجل الثمن ومنجمه

واعلم ان امير المؤمنين يراعى مايرد منك فى هذا الامر ويتوقعه إن شاء الله

ويجب على الخزان اذا استقر في نفسه وصح فى عزمه أن يشتري بضاعة بنقد مائتي دينار مثلاً أن يختصر ويقسم هذا الشراء فيجعله فى أربع دفعات وبين كل شرية الى الاخرى خمسة عشر يوما فيكون استكمال شراء تلك البضاعة في مدة شهرين فانه لايخلو الشيء المشترى إما ان يغلو واما أن يرخص أو يثبت على حالة واحدة فاذا اشترى البعض وزاد سعره فقد عرف توجه النفع وتيسر الفائدة ووجب أن يستبشر بذلك ان كان ممن يقنع ويري أن الاخذ بالحزم أفضل من غنيمة الخطر وان رخص فرح من جهتين. احداها السلامة من تفاوت السعر فى شراء الجملة . والثاني التمكن من شراء المسترخص الجيد . وان بقى على حال واحدة لم يزد ولم ينقص يزدد بصيرة فى قبض مايشتريه ويخزنه فانه لايكاد فيا يهجم على شرائه فى دفعة واحدة أن يسلم الانسان أن تتبع نفسه منه شيأ أهمله وتتطلع الى استدراكه ولذلك تقع المخاصمات والمحاكمات كثيراً فى هذا الفن. ويجب على الخزان أيضاً اعتماد اشياء ان غفل عنها وعن أحكامها فهوفى غموم وأحزان وهموم متصلة مدة حياته لا يصفوله معها التلذاذ بحياة ولا يهنأ بعيش وذلك ان المقادير قد تأتى بما لايخطر ببال وهي على الامر الاكثر تأتى بخلاف المراد فاذا أطاع الرجل حرصه وركب طمعه وسامر أمانيه فقال أشتري البضاعة الفلانية التى قد استغنى فيها فلان وفلان وسيقل جلبها ويعدم عدما كثيرا فاني قد أخبرت ان القوم الفلانيين قد وقع بينهم وبين بني فلان فى الطريق المسلوك اليها شر والقوافل من البلد الفلانى قدجرت العادة بوصولها في كل سنة لطلبها وسيزيد سعرها مثل ماجرى من حالها فى العام الماضي وان لم أبادر بشرائها سبقنى الى ذلك غيري

وفاز بها دونى مع ماقد بلغنى ان ليس فى المخازن منها الا اليسير. ولا عند الجلابين الا الحقير. فيشتري ما يقدر عليه منها ثم يقعد ينتظر ماوعده أمله فان أمنت الطريق المسلوك اليها وتواصل حملها اغتم وحزن وان بارت ونقص سعرها ندم وسدم . وان تأخر من جرت العادة بوصوله لطلبها أدركته الكآبة وان ظهر له أن فى المخازن كثيرا منها حزن . ودواء ذلك أن يكرر على باله ويشعر خاطره انه يشترى البضاعة بتقدير ويعلم انه لاينتظر بها أحدا من خلق الله عز وجل ولا يهمه مجيئه ولا تأخره فأما اذا ربح الجلابون فى بضاعة فهم يحملون أنفسهم على عظيم الاخطار ولا تضرهم المخاوف فى الطرقات ويكتسبون فى سائر الاحوال من المفاتر وغيرها

وليعلم ان نفاق البضاعة وغلاءها من سعادتها ورخصها وكسادها من منحستها فالخزان انما يجب أن يأخذ البضاعة فى حال كسادها ورخصها ثم يتربص بها الى حين زوال المنحسة عنها وعودة السعادة اليها فان أخذ البضاعة فى حال نفاقها وغلائها ثم تربص بها زوال ذلك ناقض غرضه من غير أن يشعر وقد يمكن أن يزول تعذر البضاعة في مدة قريبة أو بعيدة فيقرر في وهمه وضميره التربص بها مدة طويلة لئلا يكربه الانتظار ويمرضه ويقلقه

ومما يجب على الخزان تأمله أحوال السلطان الذى هو في كنفه وقوة دولته وضعفها وعدله أو جوره وفقره أو غناه فان كان عادلا ودولته ضعيفة الاعداء وجباياته دارة وأمواله كثيرة فهذه النعمة الشاملة . وان كان عادلا غير أنه ضعيف عن قهر أعدائه فيجتنب شراء الاثقال ويعتمد على الخف الذى يمكنه اخفاؤه وستره أو يطرح الشراء فى تلك السنين ويدخر الدينار وان لم يتهيأ له خوفا من استهلاك النفقة له اعتمد أن يكون شراؤه لما يصلح أن يحمل

الى الديار التى هي آمن وأصلح ليكون ذلك عدة للنجاة ويسافر بهافتكون له حجة يستتر بها ويوري عن نفسه من الهرب أو بسفرها . وان كان السلطان جائراً غير أنه قوي فيكتم بيعه وشراءه ويتظاهر بالفقر ولا يشترى مايعلم أنه يصلح له أو يحتاج اليه وان كان ربحه ظاهرا . وان جمع الجور والفقر والضعف فيجب أن يبادر الانسان بالانتقال عن مملكته فهو أحمد وأحزم في المبدإ والعاقبة

فصل في مايلزم ثاني التجار وهو الركاض

اعلم انه يجب على الركاض أن ينظر أولا فيما يبتاعه فيحتاط فيه ولا يكون في نفسه بمنزلة من يمده أمله فيه عند وصوله الى البلد الذى يقصده فربما تأخر مسيره أو بطل لاحدي العوائق كخوف الطريق أو تعذر الرياح ان كان سفره في البحر أو لحادث يطرأ في الموضع الذي يقصده فكثيراً مايتفق ذلك للناس فيقاسي بيعه في البلد الذى اشترى فيه وان لم يكن قدم الاحتياط انضع فيه شيأ كثيرا ولذلك يقول التجار والمسافرون « التبصرة نصف عطية »

ثم يستحب له ان يستصحب معه رقعة بأسعار جميع البضائع في البلد الذي يريد العود اليه مما يجلب من تلك الجهة فاذا اراد أن يشتري شيأ رجع الى الرقعة فنظر الفرق بين سعره فى هذه وسعره فى تلك البلدة وأضاف اليه مايحتاج من المؤن التى تلزم الى حين الوصول ثم يضيف الى ثبت الاسعار ثبتا بمكوس البضائع فان مكوسها تختلف في سائر البلدان ثم يميز الفائدة وكذلك في جميعها .

ويجب عليه اذا كان لامندوحة له عن الشراء أو تقديم العودة فى مدة

قريبة ورأي الشيء الذي يوافقه ويصلح له ويتيسر له شراؤه ان يأخذ منه حاجته لانه لا يأمن أن يضغطه السفر ويتفق لمن زاحمه فيه فيخرج عن حده لا سيما اذا علم أن في ذلك الموضع من المسافرين الي البلد الذي يقصده كثيرا منهم وتلك البضاعة مما تصلح لهم ولم يتيسر لهم الثمن إما لتربصهم ببضائعهم بسبب الحرص على الزيادة أو لأنها لم تنض من جهة المشترين والوكلاء ويجب على الركاض أيضا اذا دخل بلدة لم يعرفها أن يكون قد تقصي عن الوكيل المأمون والموضع الحريز وما شاكل هذا المعني خوفا أن يقع مع مطول أو أو مدولب قد أشفي على الافلاس فيغرق وهو لا يعرف

فصل فيما يلزم ثالث التجار وهو المجهز

اعلم يااخي وفقك الله عز وجل ان قانون المجهز ان ينصب له في الموضع الذي يجهز اليه من يقبض البضائع التي يصدرها اليه ويتولي هذا القابض بيعها وشراء الاعواض عنها ويكون ثقة أمينا مأمونا موسراً قد نصب نفسه للتجارة مع خبرة بها فيكون الحمل اليه وهو المتولي للبيع وله حصة في الربح في كل ما يبيعه أو يشتريه وان كسد شيء من السلع ورأى خزنها خزنها وأنفذ اليه ماقد قدم الاحتياط في شرائه وحصله قبل الموسم وتمكن من جودته واصلاحه ثم يعتمد شراء البضائع على حال امهال وتأن وامكان التخير فاي بضاعة لم يتمكن فيها من ذلك التمسه في غيرها فان الربح بمعونة الله عز وجل موقوف على صلاح الشراء ثم لا ينفذ بضاعة الا مع الاصحاب الثقات الذين يرعونها الى أن يتسلمها المتولي القابض

فصل في التحرز من المطمعين

أما المطمعون فانهم يعترضون أصحاب الاموال بالبشر والاكرام والتحية والاعظام الى أن يأنسوا بهم ويعرفوهم بالمشاهدة وربما قضوا ماقدروا على انجازه من حوائجهم الى ان يألفوهم ويحصل بينهم شبه الصداقة . ثم ان أحدهم يذكر لصاحب المال فى عرض المقال انه قد تعرض فرص مفيدة محمودة العاقبة حاضرة النفع فى الشيء الذى يعانيه ان كانت معيشته فى البز أو الصوف أو العطر أو الزرع أو غير ذلك ويذكر انه تاجر فى ذلك النوع ويقول انى فكرت فيما عليك من المؤن والنفقات والخرج وما تأخذ به نفسك الكبيرة من التوسعة وان هذا الامر يعود بضرر مالم تساعد المكاسب وما غرضى الا التقرب اليك ونصحك وخدمتك وما أريد والله شيأ من هذا المتجر يكون تحت يدى ولا أقبض منه شيأ بوجه من الوجوه ولا بسبب من الاسباب بل يكون ذلك بيدك أو بيد أحد غلمانك أو نوابك حتى لا يستشعر أحد غير ما قصدت اليه ويخرج له فى صورة الناصحين المشفقين المحبين ويكثر عليه السفسطة والمكر ويذكر له أصناف الاطماع كلها ويمنيه المحال فاذا استجاب الى ذلك كان أمره معه على أحد قسمين . إما أن يأمنه ويجعل المال تحت يده فيعطيه منه اليسير على صفة انه من الربح ويطاول به الاوقات ويدافع به الزمان ويدفع اليه فى الاحايين الشيء اليسير الحقير ويهون على هذا التاجر المغرور السخين العين انفاقه لطمعه انه من الربح وان رأس المال محفوظ ولا يدرى انه وذلك ينفقان منه حتى يلتقيا على الوسط ثم يحتج عليه ببعض الآفات والشوائب فان لزمه صاحب المال وأكد فى الطلب قابحه وكاشفه وبرطل

من جملة المال جهات تحميه وتدفع عنه ثم يبكي اليهم ويشتكي ويقول هذا رابانى وافقرني واستخدمني وأكل كدي وما أعطانى شيأ ويريد ان يخسرني ويهلكني فان روعي صاحب المال اكتتب له عليه حجة ثم لا يستوفيها الا فى الآخرة بين يدي الله عز وجل . وان هو لم يأمنه وعول على ان يكون القبض بيده والمتاع مخزونا عنده واطأ عليه البائعين والمشترين وحصل لنفسه وعمل على مايفوز به فان حال سعر المشترى الى النفاق وحصل لصاحب المال أدنى ربح ولو كان يسيراً حقيراً تبجح بذلك واعتد به عليه وأوهمه أن مفاتيح الارزاق بيده . وان كسد ورخص أحال على الاقدار وقال ليس لي علم بالغيب ولا فى يد أحد من الامر شيء وما أردت الا الاصلاح ما استطعت وما توفيقي الا بالله عليه توكلت

واعلم يا أخي وفقك الله ان شرا من هؤلاء المطمين وأشد منهم غائلة القوم الذين يتعرضون لصنعة الكيمياء وهم الطماعون المطمعون فى عمل الذهب والفضة من غير معدنيهما فيجب على كل عاقل من الناس الحذر من التقرب اليهم والاستماع لشيء من حديثهم أبداً والله يكفى كل مسلم أمرهم ان شاء الله

فصل في التحرز من المبرطخين

اعلم أن المبرطخين من شر الخونة والناس بهم اكثر اغترارا وذلك ان صاحب المال اذا ندب أحدهم لشراء حاجة سارع فيها واحتاط فى جودتها أتم الاحتياط فيوفر كيلها ان كانت مما يكال ووزنها ان كانت مما يوزن وذرعها ان كانت مما يقاس ثم وضع من أصل ثمنها شيأ فقام به من عنده حتي يظهر لصاحب المال انه شهم عظيم واسترخاصه لما يبتاعه برسمه ونصحه وثقته

وأمانته ونجح مساعيه ويستنش خدمه وثقاته وكذلك ان ندبه لبيع شيء استجاد النقد وأضاف اليه من عنده ما يرجح به الوزن وكذلك ان ندبه لاستخراج أو تخريج ولا يزال هذا دأبه حتي يقرب من قلبه ويحبه ويسكن اليه ويعول فى الكثير عليه فيفوزبه ويستقطه

فصل في التحرز من المخرقين المموهين

أما هؤلاء المخرقون المموهون فانهم يتعرضون لذوي الاموال الكثيرة الواسعة تعرض الاكفاء ويظهرون الكفاية والاستغناء ويباسطونهم مباسطة الاصدقاء ويتمدون جودة اللباس ويستعملون كثيراً من الطيب ثم ان أحدهم بعد ذلك يذكر لصاحب المال الواسع انه ربح الارباح العظيمة فيما يعانيه ويوهمه بذلك ليصل اليه على غرة ولا يزال ذلك دأبه حتي يستقر فى نفس صاحب المال انه يكسب فى كل سنة الجمل الكثيرة من المال ولا يبالي كيف أنفق وأكل وشرب وجدد وتغني فتشره نفسه لذلك فيقول له على سبيل المداعبة والمجون «يا أبا فلان انت تريد الدنيا كلها لك لم لاتشركنا فى متاجرك هذه وما تجده من الارباح الكثيرة» فيقول له أنت جبان عن اخراج الدينار وتظن انك ان اخرجته خطف ولا تدري انه كالبازي ان أرسلته اكل وأطعمك وان أمسكته لم يصد شيأ واحتجت ان تطعمه والامات وكذلك الدنيار ان أمسكته لم تكسب شيأ واحتجت الى ان تنفق منه فيقول له الامر والله كما قلت ولو أشرت على بشيء لم أخالفك فيقول المخرق المموه والله لو كان عندي علم انك تنشط لما هذه سبيله لكنت فعلت معك خيراً كثيرا وكان انضاف الى مالك الجمل الكثيرة الواسعة وينشر له بسط الاماني مد بصره ولكن ما فات لا كلام فيه والعمل فى

المستقبل وسوف يستقر بيني وبينك ما تحمد عاقبته ان شاء الله فيشكره صاحب المال الشكر التام علي هذا القول ويعتقد انه قد فازمتي قبض منه جملة من المال ولا يزال صاحب المال يلزه وهو يعطله باستلام المال ليزداد حرصا ورغبة حتي يسلمه المال فاذا قبضه منه يكون حاله معه مثل حاله مع المطمع اذا صار المال تحت يده

فصل في التحرز من المتمنمين الذين يصيدون الدنيا بالدين

هؤلاء القوم هم أهل الرياء المظهرون التقشف وافراط التنسك ومجانبة الحرام. ومواظبه الصلاة والصيام. لكي يشتهر ذكرهم بذلك عند القضاة والحكام والخواص والعوام . ثم يلقون ذوي المال بالبشر والاكرام . والتلطف في المقال ويغشون ابواب الملوك على صفة التهاني بالاعياد . وبما يأتي من الاولاد . وبالاوبة من الاسفار . والسلامة من الاخطار . ويظهرون الكفاية والغنى ويجعلون الدين سلما الي الدنيا . واكثر اغراضهم ان تودع عندهم الاموال . أو تسند اليهم الوصاية على الايتام . وتجلهم العوام . وتقبل شهادتهم الحكام . وتندبهم الملوك الي الامانات . والاشراف على المستغلات. وهؤلاء شر من اللصوص والقطاع والمشهورين بالعيث والفساد . وذلك ان شهرة هؤلاء بالشر تدعو الناس الي الاحتراس منهم . وتشبه هؤلاء بأهل الخير يدعو الى الاغترار بهم وقد قيل ان الرياء هو الشرك الاكبر

فصل في حفظ المال

حفظ المال يحتاج الي خمسة أشياء . أولها أن لا ينفق اكثر مما يكتسب

فانه متي فعل ذلك لم يلبث المال أن يفني ولا يبقى منه شيء ألبتة

حكى أن رجلا كان رأس ماله خمسمائة دينار وكان ربحه فى كل عام خمسمائة دينار وكانت نفقته في كل سنة خمسمائة دينار فوقع منه تفريط فى سنة واحدة بزيادة دينارين من النفقة فخرج من رأس ماله وافتقر بعد تسع سنين حتى لم يبق له شيء ألبتة واعتقل فى حبس القاضي على دنانير بقيت عليه مما انفق

بيان هذه القصة انه ضاع منه فى أول سنة ديناران وفى الثانية أربعة دنانير وفي الثالثة ثمانية دنانير وفى الرابعة ستة عشر ديناراً وفي الخامسة اثنان وثلاثون دينارا وفى السادسة أربعة وستون دينارا وفى السابعة مائة وثمانية وعشرون ديناراً وفى الثامنة مائتان وستة وخمسون دينارا وفى التاسعة خمسمائة واثنا عشر دينارا

والثاني ان لا يكون ما ينفق مساويا لما يكسب بل يكون دونه ليبقى ما يكون عنده لنائبة لا تؤمن أو آفة تنزل أو وضيعة فيما يعانيه ان كان تاجرا مثل ان تكسد البضاعة الى ان تقارب الفساد فتباع بخسارة كبيرة أو جائحة على غلته وثمار كرومه وبساتينه وما شاكل ذلك وليس ما ذكرته على ان يقاس كسبه يوما بيوم ينفقه فيه لكن يقيس عاما بعام ونحو ذلك من الزمان الذى فيه طول ويضرب خير الامر بشره فان الكسب تارة يبرد ويقل ثم يعود الي مثل ذلك الدور أو أقل أو اكثر وهذه سبيل النفقات فربما نقصت وربما زادت بحوادث غير مستمرة فافهم ذلك هداك الله عز وجل للخير آمين

الثالث مما يحتاج اليه فى حفظ المال ان يحذر الرجل ان يمد يده الي ما يعجز عنه وعن القيام به مثل من شغل ماله فى قرية يعجز عن عمارتها

أو في ضياع متفرقة لا يمكنه مباشرتها وليس عنده أعوان ولا كفاة يقومون له بها أو يتخذ من الحيوان ما تجاوز النفقة عليه مقدار ماله. وحال من فعل شيأ من ذلك كحال الشره من الناس الذى يأكل مالا تستمر يه معدته فان من أكل مالا يستمر يه معدته لم يتغذ جسمه بل ربما أخرج من بدنه ما يضر به خروجه منه. ومن تعاطى ما تجوزه طاقته كان خليقا ان لا يفوته الربح فضلا عن أن يذهب رأس ماله. والرابع مما يحتاج اليه في حفظ المال ان لا يشغل الرجل ماله بالشيء الذى يبطىء خروجه عنه وانما يكون ذلك مما يقل طلابه لاستغناء عوام الناس عنه كالجوهر الذى لا يحتاج اليه الا العظماء والملوك وربما يسيء معاملته وسائطهم أو لا ينفق عليهم ومثل كتب الحكمة التي لا يطلبها الا الحكماء والعلماء وا كثرهم فقراء وهم مع ذلك قليل وما يجري هذا المجري مما يقل طالبه. وأما ان كان الاكتساب بالارزاق المقررة كالكتاب والجند ومن جري مجراهم أو كالصناع العاملين بايديهم وابدانهم فالسياسة لهم فى اكتسابهم مواصلة العمل والمناصحة فيه وأداء الامانة فان أثر ذلك يظهر عليهم. والخامس مما يحتاج اليه فى حفظ المال ان يكون الرجل سريعا الي بيع تجارته بطيئا عن بيع عقاره وان قل فى ذلك ربحه وكثر ربحه في هذا

فصل فيما يجب ان يحذر في انفاق المال

أما انفاق المال فينبغي أن يحذر فيه خمس خصال وهى اللؤم والتقتير والسرف والبذخ وسوء التدبير

فأما اللؤم فهو يا أخي الامساك عن أبواب الجميل مثل مواساة القرابة والافضال على الصديق وتفقد ذوى الحرمات وتعاهد أبواب البر مثل

الصدقة على محاويج الناس وكل ذلك على قدر الامكان والوسع والطاقة وأما التقتير فبالتضييق فيما لا بد منه ولا مدفع له مثل أقوات الاهل ومصالح العيال . وأما السرف فهو الانهماك فى اللذات واتباع الشهوات . وأما البذخ فهو أن يتعدى الرجل ما يتخذه أهل طبقته وطوره فيما يتغذي به أو ما عساه أن يلبسه طلبا للمباهاة . وأما سوء التدبير فأن لا يوزع نفقته فى جميع حوائجه على التقسيط والاستواء حتي يصرف الى كل باب منها قدر استحقاقه فانه متى لم يفعل ذلك وأسرف فى واحد وقصر فى آخر لم تتشاكل أموره ولم تنتظم أحواله ولم يشبه بعضها بعضا . ومن سوء التدبير أيضاً أن لا يتقدم فى اتخاذ الشيء الذي يحتاج اليه عند كثرته وامكانه والامن من فساد يعرض له فيؤخر ذلك الى حين تدعوه اليه الحاجة مع شدة الاضطرار فيأخذه كيفما اتفق وبما كان من الاثمان ويزول عن حكم الاختيار .ومن سوء التدبير أيضا أن يتقدم في اتخاذ ما يحتاج اليه لمدة يفسد فيها كثرانه قبل أوان الحاجة اليه أو يتلف باهماله لصيانته وترك الحوطة عليه فاللئيم يؤتى من قبل جهله بالجميل وقلة معرفته بقدره وفضيلته.والمقتر يؤتي من قبل انه لا يعرف أبواب الواجب ويجهل العدل وما فى تركه من النقص. والمسرف يؤتي من قبل ايثاره اللذة على صواب الرأى . فاللئيم والمسرف ممقوتان عند الناس لانهما على طرف من الجور . والمسرف مذموم عند الخاصة بجهله وعند العامة بنوع من الحسد له . وصاحب البذخ أسوأ حالا من الجميع لان اللئيم والمقتر وان كان الناس يمقتونهما فانهما على حال يرجي أن يحفظ معها مالهما والمسرف وان كان مذموما فهو يربح التمتع بلذاته. وأما صاحب البذخ فلا مال حفظ ولا لذة التذ وأسوأ منه حالا من كان سيء التدبير لانه انما يؤتي من قبل انه لا يعرف مقادير

النفقة ولا أوقاتها فمن عرف أبواب الجميل ورغب فيها وأبواب الحق اللازم ولم يخل بها واقتصر فى الانفاق على لذاته ولم يتعد طوره وأهل طبقته وفهم مقادير مايستحق كل باب مما يحتاج اليه وأنفق فيه بقدر استحقاقه ولم يزد في باب فيضطر الى أن يقصر فى آخر وعرف أوقات الحاجة الى كل شيء فلم يقدم اتخاذ شيء يفسد أو يضيع قبل أوان الحاجة اليه ولم يؤخر شيأ قد قرب وقت الحاجة اليه فيكون اتخاذه اياه على حال اعجال واضطرار أو يفوت أوان الحاجة اليه فيكون اتخاذه بعد ذلك باطلا أو يعز فلا يجده الا بالغلاء فان ذلك أى القائم بهذه الاعمال منسوب الى الكرم والسخاء والاتساع والبر والمواساة والقصد والحزم وحسن التدبير . ومن كان كذلك وكانت غلته أو ربح ماله أو جاريه عن خدمته تقوم بمؤنته ونفقة عياله ويفضل له بعد ذلك فضل يصرف بعضه فى أبواب البر التي تقدم وصفها وبعضها يدخره لزمانه ونوائب دهره فينبغي أن لا يطلب اكثر من ذلك فان طلبه لاكثر من هذا شره

فصل في الاحتياط فيما ينفق

الاحتياط فيما ينفق هو بان يشتري ماتدعو اليـه الحاجة من الاقوات من بيادرها وقت كثرتها وتوفر جلبها كالحنطة والشعير والقطاني وغير ذلك من الادم كالعسـل والسمن والشحم وما أشبه ذلك والـكثير من الحطب ويحتاط عليه ويخزنه فى مواضع مفردة ويطلق للعائلة منه فى كل شـهر بقدر مايحتاجون اليه ويستظهر فى الحنطة والشعير والحبوب بأن يخزن مايحتاج اليه من ذلك لسنتين كاملتين أبدا لما لا يؤمن من جوائح الغلات والحصارات وما جري مجراها ويعتمد فى الـكسوة الاحتياط أيضا بان يشتريها فى عنفوان

جلبها وكثرة بائعيها وقلة طالبيها ويبتاع كسوة الشتاء فى الصيف وكسوة الصيف فى الشتاء . ويعتمد الاحتياط فى الابنية والمرمات فيحصل الخشب والقصب والجير والحجارة وسائر الآلات على ماتقدم ذكره من شروط الاحتياط في الابنية ويستعمل الصناع في الاوقات المختصة بطول النهار أو اعتداله . ويشترى ماتدعو اليه حاجته من الرقيق والكراع في وقت الغلاء ونفاق الاقوات وفى ذلك الوقت يشتري الاملاك من الأدور والفنادق وما يجري هذا المجري . فأما المزارع والارحية والافران فلا يشتريها الا عند الرخص وتكامل الرخاء ويشتري أيضاأصناف السلاح وقت الامن والسلم والدعة

فصل في موقع الحاجة الي صيانة المال

لابد من شهامة النفس القوية . والاخلاف المحمودة المرضية والقناعة التي هى على صيانة الوجه معينة ومن العناية بصيانةالمال وحفظه وتمييزه إذهو المدة على اتساق التدبير والراغب فى الدنياوالزاهد فيها لايستغنيانعن طلب مالابد منه في إقامة الحياة من المال مع معرفة الجميع أنها لم تعط الا أخذت ولم تسر الا احزنت ولم تنصف الا ظلمت وانها تطرق بطرف نعمة وتنبه بروائع نجعة كاشرة مرة تقبل متعرفة وتصد متنكرة تدرج الاعمال وتنشر الآمال فبهذا عرفها الخلق وعلى هذا صحبت والمال ربما ذهب باضعف سبب وقد قيل لافقير أفقر من غني يأمن الفقر

وأوصى بعض الحكماء ولده فقال يابني عليك بطلب العلم وجمع المال فان الناس طائفتان خاصة خالصة وعامة رعاع . فالخاصة تكرمك للعلم والعامة تكرمك للمال . واعلم انه قل شيء لم يزدد الا نقص والنقصان يلحق

الكثير كما تلحق الزيادة القليل .

وفي كتاب كليلة ودمنة . ان صاحب الدنيا يطلب ثلاثة أمور لا يدركها الا باربعة أشياء . فاما المطلوبات الثلاثة فالسعة في المعاش . والمنزلة في الدنيا والزاد في الآخرة . وأما أسبابها الاربعة فاكتساب المال من معروف وجوهه وحسن القيام عليه وعلى ما اكتسب منه . والتمييز له . وانفاقه فيما يرضي الاهل والاخوان وما يعود في الآخرة نفعه . فمن أضاع شيأ من هذه الخلال الاربع لم يدرك ما أراد فاذا لم يكتسب ولم يكن له مال لم يعش ولم يعش به واذا كان ذا مال وذا اكتساب ولم يحسن القيام عليه أوشك أن يفنى وإن هو انفقه ولم يثمره لم تمنعه قلة الانفاق من سرعة النفاد كالكحل الذي لا يؤخذ منه الامثل الغبار ثم هو سريع النفاد وان هو اكتسب وثمر وأصلح وأمسك عن الانفاق في ابوابه ومواضعه الواجبة حقا كان فقيرا كالذي لا مال له ثم لا يمنع ذلك ماله أن يفادره ويذهب حتى لا يدرك منه شيأ كالحوض الذى لا يزال ينصب الماء فيه فاذا لم يكن له مفيض ومخرج خرج من اماكن شتى فذهب ضياعا

فصل في النهي عن اضاعة المال والتفريط فيه

كتب بعض الادباء الي أخ له ورث مالا جليلا فصحب قوما لا خير فيهم ولا خلاق لهم « أما بعد فاني اراك قد هجلت فيما كنت أحب أن تمتق فيه وألنت جناحا للتصابي وملكت نفسك من أصفيتهم ودك واحببتهم بكل قلبك ودخلت مدخلا لا اراك تقوي عليه وسلكت مسلكا قد أضل من هو أحزم منك فعند انكشاف الغمرات تعلم من الصريع غدا ووقت الحقيقة

ينهزم المخذول واعلم أن الايام تجلى عنك أخبث الجلاء. وتدعك حليف جهل أليف خطأ فارجع رحمك الله قبل أن تدرك الندم. واحذر انقضاء لذة لاتتم كأنك كنت فى حلم ومل عن الداعى وفر حيث لا ينفعك رفيق. ولا يغشاك صديق. بل يتركونك سليب نعمتك وفقيد شهوتك وقرين ندامتك. وجليس فكرتك. قد ذهب مالك. وتغيرت أحوالك. وكثر عذالك. وانت لاهى القلب مشغول الذهن مختل الفكرة فان تسمع وتصنع رجوت ان تفعل والا فاني واياك كما قال الشاعر

لقد أسمعت لوناديت حيا * ولكن لا حياة لمن تنادى

واعلم يامغرور أن من تصحبهم يقصدون صحبتك برفق وحذق. وأنت تصحبهم بسلامة وخرق. فاحذر واياك الاكتراث بقولهم والله يعلم كيف محبتنا لك يامولانا وسيدنا ومن نحن خدمه وغلمانه ومماليكه يا أملنا وسرورنا واكثر همنا ومن لا يطيب عيشنا الا به يا أسخى البشر واكرم الخلق وأظرف الناس ياذا الهمة السنية والصدر الواسع ومن ليس للدنيا والدرهم عنده قيمة يا أسخى من الريح وأزكى من النسيم وأحسن من القمر وأضوأ من الشمس وأرق طبعاً من الهواء ياغاية فى كل فضل. ومثلا في كل شكل». وألوانا من التملق والتودد والتقرب والتحبب والتعطف وهذا الكلام يا أخي طبطاب النفقة ومنجنيق العطب وعرادة الافلاس وأبورياح الطير والسخرية فارجع عما أنت فيه والا أقمت فقيرا حائراً وكيف لا يكون ذلك وهم يعدون لك فى الامل وأنت تنفق الجمل. وهيهات ان تستعيد ما قد ذهب الي ان يحشر الناس ضحى أو لا تعلم انه ما أدبر شيء فاقبل وان المال تستنفده النفقة وتخربه المعصية وتفرقه اللذة وعند تفريقك الصدر تعرف الخبر وقد نصحتك ان قبلت

النصيحة ولا خير في قوم لم يكونوا ناصحين وان مثل من عذل جاهلا على جهله وزجره عن خطئه مثل من أسرج في الشمس أو من غني عند رأس ميت أو كلم صورة يريد منها الجواب وقد شرحت لك ما يفعل الجاهل بنفسه وسيء عاقبته والسلام »

ومن رسالة لبعض الادباء

احذر أن تخرج من يدك درهما حتى ترى في يدك ما هو خير منه فان رمل عالج لو أخذ منه ولم يزد عليه ذهب عن آخره . وجبال أصبهان انما تفنى بالهباء الذي يتعلق بالاميال . اني أحذرك ياأخي مصارع المخدوعين . وأرفعك عن مضاجع المغترين دعني من حكايات المتشاكلين ورقى الخداعين . فما زال الناس يحفظون أموالهم عن مواضع السرف ويجنبونها وجوه التبذير فخذ فيما تعلم ودعنا مما لا تعلم هل رأيت أحدا قط أنفق ماله على قوم كان غنامه سبب فقره سلم عليهم حين افتقر فردوا عليه السلام أو لست قد رأيتهم بين محق له ومحتجب عنه ثم لعل بعضهم ان يتجنى عليه ذنوبا يجعلها عذرا لمنعه وسبباً لحرمانه قال الشاعر

حفظ المال خير من لغات * وسير في البلاد بغير زاد

واصلاح القليل يزيد فيه * ولا يبقي الكثير مع الفساد

وأصيب روزنامج لبعض الفرس مكتوب على ظهره . العاقل يصون ماله كما يصون حرمه ويغار عليه كما يغار عليهن واذا فعل ذلك حمد أمره وسعد جده

قال مؤلف هذا الكتاب كنت جالساً يوما بطرابلس الشام في السوق فاذا مع المنادي فضة مكسرة وفي جملتها درهم حرق صحيح وزنه يزيد على

مثقال على أحد وجهيه صورة ثور وفي الوجه الآخر صورة فارس على فرس مسرج ملجم فى نهاية الحسن وعلى الوجهين كتابة لا أعرفها فاشتريت القصة من المنادي وبقى الدرهم فى يدي أقلبهُ فرآه معي رجل من أهل العلم عجمي فقال أنا أعرف هذه السكة وهى من ضرب بلاد الهند ويتعامل بها في غزنة وانشدنى اشعاراً قيلت فيهذا الدرهم بالعجمية ثم قال وترجمة المكتوب بالهندية في الوجه الذي عليه صورة الفرس هي « من حفظ هـذا الدرم فلم يخرجه الا في وجه لازم بمقتضى العقل والدين فمثله كمثل الفارس تحته الجواد المطواع واقتـداره على التصرف حيث أراد . وترجمة المكتوب على الوجه الذى عليه صورة الثور . ومن أضاعه وفرط فيه ولم يعرف قدره فمثله كمثل الثور في عدم التميز وكونه لا يدرى أين يذهب ولا أين يذهب به »

وكتب بعض الادباء الى ولده . حفظك الله يابنى أما بعد فكن مع الناس كلاعب الشطرنج احفظ شيئك وخذ شيء غيرك من وجه حق يوجب لك أخذه فان مالك ان خرج من يدك لم يعد اليك وانما يصير فى عدد ما مضي وعاد وثمود وأصحاب الرس واعلم ان الدينار كالمحموم فاذا صرفتـه مات ومن مات فقد فات واعرف بيت شعر قد شتت مائة الف عن أوطانهم وهو

فسر فى بلاد الله والتمس الغني * تعش ذايسار أو تموت فتعذرا

واحذر يابنى ان تلحقهم فتكون كهم والسلام

وقيل ان من لم يحسن أن يمنع لم يحسن ان يعطي ولا يقل مع الاصلاح شيء ولا يبقى مع الفساد شيء وليحتط من ابتاع فانما يغبن عقله لا درهمه

وقال بعض الحكماء ليس للحازم ان يشغل نفسه وفكره بما ذهب منه الا أن يكون على سبيل اعتبار ولكن ينبغى ان يعتنى بحفظ ما بقى

سئل افلاطون لم تقتنى المال وأنت شيخ فقال لأن يموت الانسان فيخلف مالا لاعدائه خير من ان يحتاج فى حياته الى ولده واصدقائه ورأى سقراط فتى بذر أمواله وحصل على أن يأكل الزيتون فقال له لو اقتصرت على ان يكون هذا أكلك . لما كان هذا أكلك .

وقال زياد لو أن لى الف الف دينار ولى بعير أجرب لقمت عليه قيام من لا يملك شيأ غيره ولو ان عندى عشرة دراهم لا أملك غيرها ولزمنى حق لوضعتها فيه . وقال عتبة ابن كثير

الناس أتباع من دامت له النعم * والويل للعبد ان زلت به القدم

المال زين ومن قلت دراهمه * حي لكن مات الا انه صنم

لما رأيت اخلائى وخالصتي * والكل مستتر عني ومحتشم

أبدوا جفاء واعراضا فقلت لهم * أذنبت ذنبا فقالوا ذنبك العدم

وقال غيره فى هذا المعنى

وكان بنو عمي يقولون مرحباً * فلما رأوني معدما مات مرحب

كأن مقلاً حين يغدو لحاجة * الى كل من يلقى من الناس مذنب

وكما يقال كما ان الجدة فى الغربة وطن كذلك الفقر لذوي الوطن غربة

وقال بعض العلماء اذا وقع في يدك شيء فاحذر أن تخدع عنه فانك تكون مالكا فتعود مملوكا . فان فات وخرج من يدك فلا تظهر الكمد عليه فلو قدر لك لم يعدك

وقال بعض الحكماء ان تمير المال آلة المكارم وعون على الدين ومتألف الاخوان وان من فقد ماله قلت الرغبة فيه والرهبة منه ومن لم يكن بموضع رغبة ولا رهبة استهان الناس به

وقال خالد بن يزيد المهلبي لابنه وهو يوصيه عند موته . أنت غلام لسانك فوق عقلك وذكاؤك فوق حزمك لم تحجمك الضراء ولم تزل في سراء . والمال واسع وذرعك ضيق وليس شيء أخوف عليك عندي من حسن الظن بالناس فانهم والله يأبى يخدمون شمالك عن يمينك وسمعك عن بصرك بخف عباد الله على حسب ماترجو الله وأول ماوقع في روعي أن الله سيحفظ عقبي من بعدي ويقدمني على خير ان شاء الله وذلك أني غلبتني شهوتي يوما فأخرجت ديناراً لقضاء وطري فوقعت عيني على سكته وعلى اسم الله عز وجل المكتوب عليه فقلت في نفسي اني لمن الخاسرين الضالين ان أنا أخرجت من يدي ديناراً من الذهب الاحمر . عليه اسم الاله الاكبر لااله الا الله محمد رسول الله واعتضت به اثما في الآخرة وشهوة تعقب ندامة في الدنيا والله ان المؤمن ينزع خاتمه لامر يريده وعليه حسبي الله أو توكلت على الله فيظن انه خرج من كنف الله عز وجل حتى يرد الخاتم وانما هو خاتم واحد وأنا أريد ان أخرج كل يوم دراهم على كل درهم منها الاسلام كله ولا يجب اخراجها الا فيما اجتمع أن يكون لله تعالى فيه رضي ولي فيه مصلحة وقعلت ذلك وأمسكت عن شهوتي وأنا أرجو أن هذا الفعل حسنة يرزقني بها الله الجنة ثم مات

قال الجاحظ قلت لعبد الله الحزامى انك يا أخي قد رضيت بقول الناس عبد الله بخيل فقال لا أعدمني الله هذا الاسم قلت وكيف ذلك قال لانه لا يقال بخيل الا وهو ذومال فسلم الى المال وادعني بما شئت قلت ولا يقال سخي الا وهو ذومال فقد جمع هذا الاسم المال والحمد وجمع ذلك الاسم المال والذم . فقال بينهما فرق قلت هاته قال في قولهم بخيل أثبات

لاقامة المال فى ملكه وفي قولهم سخي إخبار عن خروج المال عن يده والمال نافع ومكرم ولاهله معز والحمد ربح وسخرية واستماعه ضعف وفشولة وما أشد والله غناه عن الحمد اذا جاع بطنه وعرى جلده وشمت به عدوه

وقيل خذ من إقبال الدنيا لادبارها فان الله تبارك وتعالى يرزق فى يوم لايام

وقال الكندى لحفظ المال بنيت الحيطان وغلقت الابواب واتخذت الصناديق وعملت الصيانات والاقفال . ونقشت الرشوم والخواتيم وتعلمت الناس الكتابة والحساب فلم يتخذوا هذه الوقايات دون المال وأنتم آفته وسوسه . يعنى بذلك ما يجلبه الانسان على نفسه من كثرة العائلة لان العيال سوس المال

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال «قلة العيال أحد اليسارين» وقيل لبعض الحكماء مابال مالك لا ينمو وأنت مجتهد فى تثميره فقال لانى قدمت العيال قبل المال. وقال بعض العلماء لا مال لأخرق ولا عيلة على مصلح وخير المال ما أطعمك لاما أطعمته والرقيق جمال وليس بمال

وقال لقمان الحكيم لابنه يابني شيآن ان أنت حفظتهما لاتبال ما صنعت بعدهما ابدأ بدينك لمعادك ودرهمك لمعاشك . وقال الكميت بن زيد لأبان بن ثعلبة لا تخبر الناس بفقر وان مت هزالا فان الفقير لا يعبأ به ولا يلتفت اليه

وقال الحكيم اذا افتقر الرجل اتهمه من كان له مؤتمنا وأساء به الظن من كان ظنه به حسنا ومن نزل به الفقر فلا بد له من ترك الحياء ومن ذهب حياؤه ذهب بهاؤه . وليس من خلة هي للغني مدح الا هى للفقير عيب فان كان الفقير شجاعا سمي أهوج . وان كان جوادا قيل مفسد وان

كان حليا سمي ضعيفا وان كان وقوراً سمي بليداً وان كان لسنا سمي مهذارا وان كان صموتا سمي عييا

وقال عبد الله بن المعتز شعرا

يارب جود جر فقر امرء * فقام في الناس مقام الذليل
فاشدد عرى مالك واستبقه * فالبخل خير من سؤال البخيل

ومن وصية أوصي بها بعض الملوك اليونانيين ولده اعلم أنك تملك الاموال ما ملكت فيها حسن التدبير فاذا جانبته وسلكت في السيرة سبيل الاضاعة كثرت الرغبة اليك فيما لا يأذن الرأى فيه واحتج عليك مااثبك بما فرط منك واكتنفك من خاصتك مالا تدفعه الا باكثر مما تبذله واعلم أن حاصل المملكة اذا كان بازاء مؤنها كانت كالسفينة وسط البحر الذى قد أحكم امرها على هدوه ولم يؤمن عليها من الغرق في اهتياجه واذا كان حاصلها دون ما يلزم لها حملت قومها على فتح المماطلة وعدلت بهم عن تدبير أمرها في المطالبة بالعاجل منها وأخطرت بدمائهم وأموالهم وكان ما يجرى من سعيهم مفسدا لامرهم في مستقبل الزمان وهذا أقبح ما يستمرض . وأما ان كان حاصلها اكثر مما يلزم لها فاوضح صلاحا من ان يحتاج الى تمثيل أو تحديد فقد شبه بعض متقدمينا ما كان حاصله اكثر مما يلزم له باجساد الاحداث التي توجد بالنمو زائدة على ما كانت عليه وما كان حاصله مكافئا لما يلزمه باجساد الكهول التي قد ارتفع النمو منها مقاومة صورة الانحلال وما كان حاصله مقصرا عما يلزم له باجساد من هرموا من المشايخ فان الانحلال مستول عليها والتماسك بعيد منها وكما أن الاجساد الهرمة قريبة من الموت والبلى فكذلك الاموال التي ما يخرج منها اكثر مما يستفاد قريبة من الفناء

واعلم ان اكبر آفات المال شيئان يعتقدهما الجاهل بقدره من ملاكه أحدهما أن حق المال الانفاق وأن مالكه ان لم يصرفه فيما تطلع نفسه اليه من شهواته فى حياته والاحظى غيره بما بقى منه بعد وفاته . والثانى مايرجوه من سرعة الخلف فى انفاقه . وهذان الاعتقادان فاسدان الا فى اليسير لانه ليس حق ماملك من المال الانفاق فان كان إنفاق ماتدعو الحاجة اليه حسن المعنى لكن فى المال قوة سماوية تصرف قلوب الناس الي صاحبه وتحملهم على تعديله وتكميله والثقة به في جميع اموره ومتصرفاته ومعه تنزيه صاحبه عن التذلل وصيانته من رق الحاجة وانما مثل المال لصاحبه كمثل فضل القوة للانسان متي احتاج اليها منعت منه وان استغني عنها صانها الى أوان المدافعة عنه ولم يتهيأ له العمل فى افسادها وإصلاحها واخلافها وليس من حق نعمة الله عز وجل عليه فيه أن يجعل ما جناه منه ذريعة الى خلافه فيسلط عليه شهواته المؤذية ورذائله ولذاته المختلفة وبسطته ولكنه يأنس بحسن مجاورته له يصرف الى ما اكتنفه من حقوق الله سبحانه وتعالى سعيه منا فان لحقه أجله لم يضره من صار اليه بعده وأما التأميل بسرعة خلف ما ينفق منه فانما يرجى عند انفاق ماقاد الحق الى انفاقه وتكفلت الشريعة بالمثوبة عليه فى محنة تلحق صاحبه فيه أو اعانة لذوي فاقة بشيء منه وأما ماخرج عن هذا فاولى الامور بصاحبه ان ينتقل عن انتظار خلفه الى تجديد التوبة مما انفق والاقلاع عنه

واعلم ان انفاق الاموال يحيي موات ما انصرف اليه ويعظم صغيره فان كان فى عائد المملكة كان كالماء المنصب الى الاشجار المثمرة والمزارع الزكية التي تخصب بمصلحتها الديار وتمرع البلاد وان كان في غير عائدها اشبه ماينصر

نباته ولا ينفع ريعه فكن كالطبيب الحاذق الذي يضع الدواء حيث يكون الداء يحسن فيه أثرك ويطول به استمتاعك

ومن وصايا بعض التجار لولده . يابني اعلم أن رأس المال خير من الربح وبحفظ الاصول تثمر الفروع وكل من خسر فى طلب الربح كان اجتهادهوأ كثر ما يستهلك الاموال الطمع ومسامرة الامانى والآمال الكاذبةوائتمان الخونة ومعاملة النسأ بغير جاه ولا رهن والاغترار بالمزورين والمبرطخين وتصديق المخرقين والقول من غير برهان ولا بيان . فاول مايجب على العاقل اعتماده استشعار القناعة وحسم الطمع والاقتصار من المائلة والنفقات على مالا مندوحة عنه ولا يحفظ الصحة أقل منه ليقل شرهه ويضعف حرصه وشدة اجتهاده لان هذه من الاسباب التي تنقص العقل وتضعف الرأى وتوهن العزم ولذلك قيل لا يستعرض شيأ من الاشياء ذو فاقة اليه فان العريان يستوفق كل طمر يدفئه ويستره والجائع يستلذ كل طعام يشبعه وكذلك الشبق لا يستقبح مايعن له فاذا فعل ماذكرته صار مختارا بعد ان كان مضطرا واعترضته الرغائب فتخير أفضلها وأحمدها عاقبة

واعلم أن الانفاق يشبه المحتال عليك الذي يعطيك القليل لتعتمد عليه في الكثير فيضيمه . واعلم ان الجدة لاتكاد تهدى الى صاحبها صديقا فيه خير والشدة لاتكاد تهدي الى صاحبها صديق سوء وينبغى للعاقل ان يخدم فى شبابه لزمان شيخوخته كما يخدم في الصيف لزمن الشتاء قبل هجومه

واعلم أن كساد السلع أسهل من مقامها فى ذمة المنكسرين والمضطرين والمحتالين لان المحتال يستميلك بالزيادة فى الربح ليحوزها وانما يعطيك قولا لا يصلح بفعل قد صح له ويعوضك من حسن محاورته الجرى فى ميدان

المواعيد فان كان الخلف مع هذا سهلا عليه والحياء بعيدا منه احتجت الى مايقابل هذا بما يزيل صورتك عند الناس من الصيانة والستر وليس يبدل هذا شيء من مصائب السعي

فان بليت بملابسة سلطان فاحذر أن يراك الا بعين الاعظام له والحذر منه والاعتماد عليه في مطالبة معاملتك بحسن المداراة ولطف التأني وأخذ الامور بالرفق واحذر ان تدخل باحد منهم اليه الا بعد أن تعجز جميع حيلك كلها فيه وأثبت مكارم اخوانك واصحابك ومن أحسن اليك في الدهر مرة كما تثبت ديون معامليك واخلص من ذلك بحسن المكافأة

والله عز وجل أسأل توفيقك وصلاحك فى دينك ودنياك
واشكر الله تعالى على ما أوصله اليك من النعم جعلك الله
ممن يحفظ ويعمل ولا جعلك ممن ينسى ويهمل
والله الموفق للصواب وليكن ذلك آخر
الكتاب. والحمد لله وحده وصلى
الله على سيدنا محمد وآله
وصحبه وسلم



(قال مصححه)

يقول بعضهم إن العرب لم يشتغلوا بفن الاقتصاد التجارى والسياسي وما زالت الايام تكشف لنا من آثارهم مايدل على انهم لم يتركوا فنامن الفنون الا بحثوا فيه ولا علما الاطرقوا بابه . وخاضوا عبابه. وقد عثر صديق لنا في إحدي مكاتب دمشق على نسخة من هذا الكتاب الجامع لاحسن مطالب الاقتصاد والمشتمل على أحسن الطرق المؤدية الى استثمار رؤس الاموال واهداها لنا لنقوم بطبعها. الا انا وجدناها محرفة تحريفا ماكان يتيسر لنا معه طبعها لو لم ننبأ بوجود نسخة صحيحة فى المكتبة الخديوية وصلت اليها من احدي مكاتب الشام أيضا منذ بضع سنين ولم يرد اسمها فى الفهرس الخاص بالمكتبة بعد فعنى صديقنا المومى اليه بمقابلتها على هذه النسخة وتصحيحها أتم امتناء حتى تيسر لنا ابرازها الآن في بردها القشيب الي عالم المطبوعات ولكننا لم نعثر على ترجمة للمؤلف وتاريخ كتابة النسخة يدل على ان مؤلفه من افاضل الباحثين فى القرون الاولى اذ جاء فى النسخة الثانية التي وجدت فى المكتبة الخديوية مانصه . تم كتاب الاشارة . فى محاسن التجارة . بفضل الله وحمده وصلى الله على محمد نبيه وكان الفراغ منه عند صلاة الظهر من نهار يوم الأثنين السادس من شهر رمضان المعظم سنة سبعين وخمسمائة غفر الله لكاتبها وما لكها آمين يارب العالمين ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم اه

وعلى كل فان هذا الكتاب يدل على أن اسلافنا عنوا بكثير من الفنون التي لم نقف الآن على كتبهم فيها فرحمهم الله وعفا عن خلفهم الذين أضاعوا كل شيء وفقدوا كل شرف فاصبحوا في تقليد الاجنبي كالببغا ينطق بما يملى عليه حسنا كان أو قبيحا ولله الامر

فهرست كتاب الاشارة . في محاسن التجارة
للشيخ أبي الفضل جعفر بن على الدمشقي رحمه الله

صحيفة		صحيفة	
٢	فصل فى بيان حقيقة المال	١٨	اللازورد
٣	فصل فى مدح الغنى بكثرة المال	١٨	الجزع
٤	فصل فى موضع الحاجة الي المال الصامت	١٩	فصل فيه القول فى الطيب
		١٩	العنبر
٦	فصل فيما يمتحن به المال الصامت فيعلم جيده من رديئه	١٩	الكافور
		٢٠	العود
٩	فصل فى الاعراض	٢٠	القرنفل
١٠	فصل فى المعرفة بالقيمة المتوسطة لسائر الاعراض	٢٠	السنبل والاذخر
		٢٠	الصندل
١٢	فصل فى جيد الاعراض ورديها	٢١	الزعفران
١٣	القول فى الجوهر	٢١	القول فى السقط الكبير
١٤	الياقوت	٢١	البقم
١٥	الزمرذ	٢٢	الفلفل
١٥	الماس	٢٢	اللبان
١٦	الفيروزج	٢٢	المصطكى
١٧	المرجان	٢٣	دارصيني الطعام
١٧	العقيق	٢٣	الأل

صحيفة

٢٣ الزنجبيل
٢٣ الزرنباد
٢٣ الخولنجان
٢٣ القسط
٢٨ اللاذن
٢٤ الاهليلجات
٢٤ الكاغد
٢٤ الكتان
٢٤ القطن
٢٥ الصوف وشعر المعز
٢٥ الابريسم
٢٥ القول فى الديباج
٢٥ السقلاطون والعتابي والمصمت
٢٦ الخز
٢٦ الدبيقى والشرب
٢٦ الاودارى
٢٧ النصافي والابراد
٢٧ اللبود
٢٧ البسط والطنافس
٢٨ المناطر والاشلة

صحيفة

٨٢ القول فى الحديد والنحاس والرصاصين والزئبق
٢٩ القول فى الاقوات ومايجري مجراها
٢٩ القول فى تخير المخزن
٣٠ الدقيق
٣٠ الزيت
٣٠ الخل
٣١ الصابون
٣١ القول فى العسل والربوب
٣١ السكر الابيض والاحمر
٣١ الفواكه اليابسة
٣١ اللحم والشحم
٣١ الحطب والفحم والتبن
٣٣ فصل فى العقار
٣٤ القول فى المزدرع
٣٥ القول فى المسقفات
٣٦ فصل فى الحيوان
٣٧ القول فى الخيل والبغال والحمير والابل
٣٨ القول فى الماشية

صحيفة		صحيفة	
٣٨	فصل فى أسباب حصول الاموال	٥٤	فصل فى التحرز من المبرطخين
٣٩	فصل فى اكتساب المغالبة	٥٥	فصل فى التحرز من المخرقين المموهين
٣٩	فصل فى الاكتساب بأنواع الاحتيال	٥٦	فصل فى التحرز من المتمنمين الذين يصيدون الدنيا بالدين
٤١	فصل فى بيان الاكتساب بالامر المركب من المغالبة والاحتيال	٥٦	فصل في حفظ المال
٤١	فصل فى الصنائع	٥٨	فصل فيما يجب ان يحذر فى انفاق المال
٤٣	فصل فى وصايا نافعة لسائر التجار	٦٠	فصل فى الاحتياط فيما ينفق
٤٧	فصل فى ذكر محاسن التجارة	٦١	فصل في موقع الحاجة الي صيانة المال
٤٨	فصل فى أحد أصناف التجار وهو الخزان	٦١	فصل فى النهى عن اضاعة المال والتفريط فيه
٥١	فصل فيما يلزم ثاني التجار وهو الركاض	٦٤	رسالة لبعض الادبا
٥١	فصل فيما يلزم ثالث التجار وهو المجهز	٧١	ومن وصايا بعض التجار لولده
٥٣	فصل فى التحرز من المطمسين		

﴿تم﴾


Bibliotheca Alexandrina
06530861